التراكيب التحويلية في جملة الاستفهام
عند محمود سامي البارودي

د. فريد محمود العمري
قسم اللغة العربية
جامعة طيبة
المملكة العربية السعودية

الملخص

يتحدث البحث عن أحد الأساليب الإنشائية الأكثر دورانا على ألسنة الناس، إذ كان للمبدعين منهم طرائق معينة في استعمال هذا الأسلوب. وقد رصد البحث هذه الطرائق بالوصف، والعدّ، والتحليل اللغوي، فوجد أن الشاعر محمود سامي البارودي استعمل هذا الأسلوب متفقا في أغلبها مع ما ورد عن النحاة في كتبهم، مخالفا في القليل منها ما ندر عندهم.

وقد خلص البحث إلى أن الاستعمال هو خير حكم يمكن أن نعتمده في تقعيد القواعد العربية، خاصة إذا أردنا للغتنا أن تكون ميسورة شائعة الاستعمال والإقبال، خالية من التعقيد والتصعيب.

واقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى قسمين:

الأول: الاستفهام مذكور الأداة: حروفا، وأسماء.

الثاني: الاستفهام محذوف الأداة.

ومناقشة القسمين بالوصف، والإحصاء، والتحليل، على وفق منهج تكاملي يربط ما بين المنهج المعياري، والمناهج الحديثة في الدراسات اللغوية؛ للوصول إلى النتائج الحقيقية وراء هذا الاستعمال.

تقديم

هذه دراسة لأحد الأساليب اللغوية تهدف إلى معرفة الطرق التي يستعملها الأديب كشاعر مثلا في التعبير عن نفسه اتجاه القضايا التي يواجهها: فكرية كانت أو شعورية، وبما أن الاستفهام واحد من أهم الأساليب القادرة على حمل شحنة كبيرة من الهم الداخلي والفكر الإنساني والإفصاح عنهما؛ فقد تناولته الدراسة بالبحث، والوصف والتحليل الذي يراد منه الوصول إلى نتائج تسعف المتكلم، والباحث في التعرف إلى أكثر الطرق استعمالا، ومعرفة ما أهمل منها، أو ما استجد في مجال التعبير اللغوي.

مجال تطبيق الدراسة: رأى الدارس أن من المهم جدا أن يكون مجال الدراسة نصا واقعيا أخذ حيزا من الشهرة، والبارودي اشتهر بأنه رائد الشعر العربي، به بدأت حركة انبعاث الشعر العربي، وانتهى كذلك، بحيث يستطيع الدارس أن يطمئن إلى أن الدراسة تأخذ منحاها الطبيعي، من دون ظهور ما يمكن قلب المادة (النص) المدروس، وتغيير مساره، أما أن تظهر دراسات أخرى مغايرة فلا شأن لنا بها، بل ونشجع على ظهورها، بمعنى أن المادة المدروسة لها حيز زماني: بداية، ونهاية، ولها مستوى تعبيري ثبتت عنده؛ فلا يمكن أن يطرأ عليها تغييرات، وعليه يمكن التعرف إلى التطور الذي يواكب اللغة المستعملة في مراحلها العمرية المتتابعة.

منهج الدراسة: صارت الحاجة إلى دراسة اللغة العربية على وفق منهج لغوي حديث تعد إسهامة جليلة في تثبيت، وتجديد الدرس النحوي العربي؛ نظرا إلى أن الممارسة اللغوية ربما تضيف إلى القاعدة الثابتة بعدا آخر، وخير ما يمكن تمثله في الاستعمال اللغوي القارّ نص أدبي له حدّان بداية ونهاية؛ ولأن أي نص له مستويات تعبيرية متعددة؛ فقد اخترت المستوى الاستفهامي، معتمدا على معيار –ولا أقول منهجا؛ لأن من أبرز سمات المنهج أن يكون واضحا ومتبعا ومتوافقا عليه في منحى دراسي شائع– هذا المعيار إحصائي وصفي تحليلي (تكاملي) يجمع بين بعض عناصر أكثر من منهج، بعضها عربي قديم، وبعضها مستمد مما ذكره علم اللغة الحديث، يمكن كما يظن الدارس أن يكون هذا المعيار (المنهج) قادرا على التعرُّف إلى ما يطلقه المتكلم في زمن محدد من جمل، ومدى مطابقتها لقواعد النحو، وانسجامها مع الدلالة التي يتوخاها، ومن ثم معرفة الأنواع، أو الأنماط اللغوية الأكثر دورانا على السنة المتكلمين، والأنماط الأقل استعمالا، أو التي هجرت، أو تلك التي استعملها الشاعر من دون أن يسبقه إليها سابق. ذلك أن منهجا واحدا قد لا يكون قادرا على الكشف عن مجمل الظواهر اللغوية التي قد يصادفها الدارس في النص المختار للدراسة. وطبيعة الموضوع اقتضت تقسيمه إلى أربعة أقسام –عدا المقدمة هذه، والنتائج من بعد، هي:

القسم الأول: وفيه تعريف الاستفهام، ودراسة لأدواته: حروفا وأسماء.

القسم الثاني: وفيه دراسة للاستفهام محذوف الأداة.

القسم الثالث: وفيه دراسة للاستفهام المباشر، بلفظ السؤال، واشقاقاته.

القسم الرابع: وفيه دراسة للاستفهام المنفي.

فإلى هناك والله من وراء القصد.

القسم الأول:

أولا: معنى الاستفهام

الفهم معرفتك الشيء بالقلب، وفهمه فهماً، وفهامةً: علّمه، وفهمت الشيء: عقلته، وعرفته، وأفهمته الأمر، وفهمتُــه إيَّاه: جعلته يفهمه.

واستفهمه: سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء فأفهمته، وفهَّمته تفهيماً[1].

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، دار إحياء التراث ومؤسسة التاريخ الإسلامي، بيروت، ط2، 1418هـ-1997م، مادة (فهم)، وانظر الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، بيروت، 1997م، مادة (فهم).

ذكر ابن يعيش أن: "الاستفهام والاستخبار والاستعلام بمعنى واحد، وهذه السين تفيد الطلب"[1]. غير أن ابن فارس فرّق بين هذه المصطلحات، ووضع لها معانيَ مختلفةً، فقال: "إن الاستخبار يسبق الاستفهام، وذلك لأنك تستخبر فتجاب بشيء فربما فهمته، وربما لم تفهمه. فإذا سألت ثانيةً فأنت مُسْتَفْهِمٌ، تقول: أفْهِمْنِي ما قلته[2].

ومتفحص هذه المصطلحات بإمكانه أن يضع لها إطاراً دلالياً إذا أراد أن يستنبط علاقة تربطها بعضها ببعض، فحروف الزيادة فيها لها معنىً واحدٌ، وهو إفادة الطلب، فالفهم، والإخبار، والعلم، إذا طلبت بوساطة، فهذا يعني أن السائل جاهل –حتى ساعته– بما يطلبه، وأنه يريد من محدثه أن يفهمه، أو يخبره، أو يعلمه بما يجهل. وهذا هو المراد بالاستفهام، إذ الأصل فيه طلب الفهم لشيء لم يتقدم لك علم به بأداة من أدواته[3]. أو هو طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في ذهنه ما لم يكن حاصلاً مما سأله عنه[4].

بهذا يختلف طلب الاستفهام عن غيره من أنواع الطلب الأخرى: كالأمر، والنهي، والعرض، والتحضيض ... وذلك: "أنك في الاستفهام تطلب ما هو في الخارج، ليحصل في ذهنك نقشٌ له مطابقٌ، وفيما سواه تنقش في ذهنك ثم تطلب أن يحصل له في الخارج مطابقٌ، فنقش الذهن في الأول تابع، وفي الثاني متبوع"[5].

لم يفرد النحاة عند دراسة الاستفهام باباً خصُّوه به؛ لدراسة مسائله المتعلقة به، وأدواته، ومكوناته، كما فعلوا في موضوعات النحو الأخرى، كالفعل والفاعل، والمبتدأ، والخبر ... وإنما أشاروا إليه عند دراسة حروفه، وأدواته، ضمن بقية الأدوات المستعملة في اللغة.

وقد خلص النحاة إلى أن الأدوات المستعملة في الاستفهام اللغوي عند العرب مختلفة الأغراض، والوظائف اللغوية التي تحددها طبيعة الاستعمال، والسياقات المستعملة فيها تلك الأدوات التي حصرها النحاة بالآتي: الهمزة، و(هل)، و(ما)، و(مَن)، و0(أي)، و(كم)، و(أين)، و(متى)، و(أيّان)، و(أنّى).

والاستفهام كما هو معروف واحد من الأساليب الكلامية الإنشائية التي تفيد الطلب على الغالب، ولكن في كثير من الأحيان له وظيفة تنبيهية، إفهامية، انفعالية، ويتحقق بأدوات نحوية تفيد معانيَ أخرى، كالنفي، والإثبات، والتقرير، والإنكار، والسبب، والحال، والظرف، ...، وهي–أعني أدوات الاستفهام– في استعمالاتها كثرة، وقلّة تفيد في الدلالة على وجهة السائل، وبيان مدى اهتمامه في المستويات اللغوية المتعددة. كما أن لأُسلوب الاستفهام أكثر من طريق يمكن الاستفهام بها: منها ما يكون بذكر واحدة من أدوات الاستفهام المذكورة آنفا، ومنها ما يكون بغير أداة، حيث تحذف

---

[1] ابن يعيش، **شرح المفصل**، عالم الكتب، بيروت ومكتبة المتنبي– القاهرة، لا.ط، لا.ت، 15/8.

[2] ابن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، تحقيق مصطفى الشويمي، طبع بيروت، لا.ط، 1964م، 292.

[3] تمام حسان، **الأصول –دراسة أبيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ودار الشؤون الثقافية العامة –العراق، لا.ط، 1988م، 351.

[4] السيوطي، **الأشباه والنظائر**، تحقيق عبد الرؤوف سعد، القاهرة، 1975م، 4/ 56، وعلي الجرجاني، التعريفات، بيروت، 1969م، 17.

[5] السكاكي، **مفتاح العلوم**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1937م، 132. وانظر: العلوي، الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مصر، لا.ن، لا.ط، 1914م، 3/ 287.

الأداة، ويلمح السؤال من نغمة الصوت، ونَبْرِه، إذا كان منطوقا، وعلامة الاستفهام إن كان مكتوبا، ومنها ما يكون بذكر لفظ السؤال (سأل)، أو أحد مشتقاته.

وقد يحصل أن يكثر المتكلم من استعمال أداة بعينها، ويقل في أخرى، مكثرا من واحد من معاني هذه الأداة بعينها، مقلاً في معنى غيره، وهو بطبيعة الحال ما يحدده السياق، والموقع الذي تكون فيه الأداة.

هذا وغيره إن شاء الله ستبينه هذه الدراسة، إذ تَتَبَّعَت ذلك بشكل دقيق، ولم يَفُتْها إلا ما كان مقدرا أن يفوت، مع شدة الحرص، والاحتراس، والتدقيق، والمراجعة، والتمحيص.

ثانيا: الاستفهام عند الشاعر

توصل الشاعر إلى أسلوب الاستفهام بطرق مختلفة، فمرة باستعمال أدواته، ومرة بحذفها، وثالثة بلفظ السؤال، أو إحدى صيغه، وفيما يأتي جدول يبين الطرق التي اتبعها الشاعر في التوصل إلى أسلوب الاستفهام، وعدد مرات استعمال كل طريقة:

ت	الطريقة	التكرار
-1	ذكر الأداة	541
-2	حذف الأداة	009
-3	لفظ السؤال	019
المجموع		569

وسنتتبع فيما يأتي هذه الطرق، حيث نبدأ أولا بأسلوب الاستفهام مذكور الأداة.

ثالثا: الاستفهام مذكور الأداة

استعمل الشاعر هذا الأسلوب في خمسمائة وأربعة وستين، (541)، موضعاً، مستعملاً فيها عشر أدوات استفهامية، وبنسب متفاوتة؛ لتعطي كلٌّ منها معنى الاستفهام المخصص لها أولاً، ثم تكون موظفة لدلالات، ومعانٍ أخرى، تندرج تحتها هذه الأداة، أو تلك بما يتناسب مع قدرتها الدلالية، والأدوات التي استعملها الشاعر هي: الهمزة، و(هل)، و(ما)، و(مَن)، و0(أي)، و(أين)، و(متى)، و(أيّان)، و(أنّى).

وسنفصل في ذكر هذه الأدوات، مبتدئين أولا بجدول يبين عدد تكرار كل أداة:

أدوات الاستفهام	الهمزة	هل	ما	من	أي	كيف	أين	متى	أنّى	مجموع التكرار
التكرار	82	94	85	34	53	116	41	26	10	541

فيما يأتي عرض لهذه الأدوات كما وردت في الديوان، حيث سيقوم البحث في هذه المرحلة ببيان معانيها، ووصف أنماطها، ثم تحليل هذه الأنماط، بما يفي بالغرض المقصود.

أولا: حروف الاستفهام، وهي: الهمزة، و(هل).

1: الهمزة

هي "أُمُّ باب الاستفهام، وأَصلُ أدواته"[1]، ولها صدر الكلام، وقد أعطت هذه الخاصية لغيرها فلا يمكن تأخيرها، وللهمزة خصائص تجعلها متفردة بين بقية أدوات الاستفهام، ويجوز حذفها سواء تقدمت على (أمْ) كقول عمر بن أبي ربيعة:

بدا لي منها مِعْصَمٌ حين جَمَّرَت   وكَفٌّ خَضيبٌ زُيِّنَتْ بِبَنان
فَوَاللهِ ما أدْري وإن كُنْتُ داريا   بِسَبْعٍ رَمَيْتُ الجَمْرَ أمْ بِثَمان[2]

أراد: أَبِسَبْعٍ؟ أم لم يتقدمها، كقول الكميت:

طَرِبْتُ وما شَوْقاً إلى البِيضِ أطْرَبُ   ولا لَعِباً مِنِّي وذُو الشَّيْبِ يلْعَبُ[3]

أراد: أَوَ ذو الشَّيْبِ يلعب؟ وقول عمر بن أبي ربيعة كذلك:

ثُمَّ قالُوا: تُحِبُّها؟ قلت: بَهْراً   عَدَدَ الرَّمْلِ والحَصَى والتُّرابِ[4]

أراد: أَتُحِبُّها؟

فحذف الهمزة إذن جائز يدل عليه السياق، وطبيعة الموقف الكلامي، ونغمة الصوت التي يتم نبرها بصيغة السؤال، وهو ما سنناقشه في موضعه.

كذلك فإن (الهمزة) ترد لطلب التصور، نحو: "أزيدٌ قائمٌ أم عمرو؟"، ولطلب التصديق، نحو: "أزيدٌ قائم؟"، في حين تكون بقية الأدوات مخصصة إمَّا لطلب التصور فقط، مثل: مَنْ جاءك؟ وما صَنَعْتَ؟ أو طلب التصديق، مثل: هل قام زيد؟.

ثم إنها تدخل على الإثبات كما تقدم، وعلى النفي[5]، نحو: "أَلَمْ نَشْرَحِ لَكَ صَدْرَكَ؟"[6]
وقول الشاعر:

ألا اصْطِبارٌ لِسَلْمَى أمْ لها جَلَدٌ   إذا ألاقي الذي لاقاه أمْثالي[7]

---

[1] سيبويه، **الكتاب**، 2: 128، وابن هشام، مغني اللبيب، 21، والمرادي، **الجنى الداني**، 97، وابن يعيش، **شرح المفصل**، 8/ 151، وابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، تحقيق صاحب أبو جناح، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، د.ت، 369.

[2] **الديوان**، دار صادر، بيروت، إعادة طبع، 1412هـ- 1992م. وانظر: سيبويه، **الكتاب**، 1/ 485، والمبرد، المقتضب، 3/ 394، وابن جني، **المحتسب**، 50/1، وابن يعيش، **شرح المفصل**، 8/ 154، وابن هشام، **مغني اللبيب**، 14، والسيوطي، همع الهوامع، 2/ 132.

[3] ابن جني، **الخصائص**، 2/ 281، **والمحتسب**، 1/ 50، وابن هشام، **مغني اللبيب**، 21، والسيوطي، **همع الهوامع**، 1/ 195، و2: 69.

[4] الديوان، 60، وانظر: سيبويه، **الكتاب**، 1/ 157، وابن جني، **الخصائص**، 2/ 281، وابن يعيش، **شرح المفصل**، 1/ 121، وابن هشام، **مغني اللبيب**، 21.

[5] ابن هشام، **أوضح المسالك**، 2/ 24، والمرادي، **الجنى الداني**، 384، والبغدادي، **خزانة الأدب**، 4/ 70.

[6] سورة الانشراح، الآية: 1.

[7] ديوان الشاعر قيس بن الملوّح، 175.

ومن خصائصها أيضاً أنها تامَّة التصدير؛ فلا تتأخر على (أمْ) التي للإضراب كغيرها، ولا على حروف العطف، فلا نقول: أقام زيد أم أقعد؟ كما نقول: أم هل قعد؟ ونقول: "أفلم يسيروا في الأرض"[1]، كما نقول: "وكيف تكفرون بالله"[2]، و"فأين تذهبون"[3]، بتقديم حرف العطف على أداة الاستفهام بخلاف الهمزة[4].

وذكر أنها تخرج من باب الاستفهام، "فليس صحيحاً أنها تمتاز عن بقية الأدوات بأنها لا تخرج من باب الاستفهام"[5]. إن خروجها إلى معان أخرى واضح وجليٌّ، ففضلا عن قوتها الإنجازية الحرفية، فإنها تستلزم مع ذلك قوة دلالية تواكب الموقف الحواري، مثل: التسوية، والتوبيخ، والإنكار، والتقرير[6].

أنماط التراكيب بـ(الهمزة)

وقد توزعت الهمزة على (اثنين وثمانين) موضعاً ، كما اتضح في الشكل السابق، متخذة الأنماط الآتية:

← الهمزة+ المستفهم عنه {= (ج.س)}

لَيْت شِعْري أَهُمُودٌ ما أَرَاه أَمْ قُنُوت؟[7]

← الهمزة+ المستفهم عنه {= (ج.ف)}

أَتَرْغَبُ في السَّلامَة و هِيَ داءٌ وتَجْمَعُ للبَقَاء وأَنْتَ فاني؟[8]

أَظَنَنْتَ لَوْعَتَهُ فُكاهَةَ مازِحٍ فَطَفِقْتَ تَعْذِلُهُ على تَهْيَامه[9]

← الهمزة+ المستفهم عنه {= (هـ.ن)}

أَلَيْسَ في الحقِّ أنْ يَلْقَى النَّزِيلُ بِكُمْ أمْناً إذا خافَ أنْ يَنْتابَهُ العَطَبُ؟[10]

← الهمزة + المستفهم عنه {= (تُرى+ ف)}

أَتُرى الحَمامُ يَنُوحُ مِنْ طَرَبٍ مَعِي ونَدى الغَمامَةِ يَسْتَهِلُّ لِمَدْمَعي؟[11]

ولم تتوقف عند معنى الاستفهام حسب، بل تعدت ذلك إلى معاني الاستفهام الأخرى المعروفة في العربية، ومنها المعاني الآتية:

---

[1] سور: يوسف، الآية، 109، والحج، الآية، 46، وغافر، الآية، 82، ومحمد، الآية 10.

[2] سورة البقرة، الآية، 28.

[3] سورة التكوير، الآية، 26.

[4] سيبويه، **الكتاب**، 1/ 99، وابن هشام، **مغني اللبيب**، 1/ 14-16، والمرادي، **الجنى الداني**، 30-32.

[5] خليل عمايرة، **في التحليل اللغوي –منهج وصفي تحليلي**، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، 1987م، 12.

[6] أحمد المتوكل، **الجملة المركبة**، منشورات عكاظ، ط2، 1987م، 124 وما بعدها.

[7] ديوان البارودي، 95.

[8] ديوان البارودي، 650.

[9] ديوان البارودي، 613.

[10] ديوان البارودي، 73.

[11] ديوان البارودي، 320.

المعنى	ت	المعنى	ت	المعنى	ت
النفي	11-	التهكم والسخرية	6-	الإنكار	1-
اللوم والعتاب	12-	التنبيه	7-	التعجب	2-
التزيين والتشويق	13-	الأمر	8-	التقرير	3-
التحسر والتأسف	14-	الاستبطاء	9-	التوبيخ	4-
		التمني	10-	التحقيق	5-

ومما يلحظه الدارس حول هذه المعاني، وعدد تكرار كل منها ، أن الشاعر أكثر في معنى، بينما نجده أقلّ في معنى آخر، ولعل هذا يدل على نَفَسِ الشاعر في قصائد ديوانه المرتبة حسب الحروف الهجائية، فبعض القصائد مثلا تحتمل نبرة الصوت العالي، فيمكن أن نلاحظ عند ذلك نبرة الاستنكار مثلا فيها، بينما لا نجد ذلك التنغيم الهابط الذي يتحدث عن العاطفة الوجدانية، أو الإنسانية، حيث نلحظها في قصائد أخرى ذوات قافية مغيرة، أو مختلفة، ومن هنا جاء هذا الاختلاف الذي نلحظه في كثرة تكرار هذا المعنى أو ذاك، وعدم تكرار المعنى الآخر، أو قلة تكراره على أقل تقدير، وهذا ما يحدده السياق، ونظرة المحلل.

تحليل التراكيب

اتفق النحاة كما نوهنا من قبل أن للاستفهام صدر الكلام، وأن موضوع السؤال يأتي لاحقا له، وفي كثير من الأحيان لا يكون السؤال محتاجا إلى إجابة، إذ يكون الاستفهام وسيلة لنقل شحنة من عواطف المتكلم إلى سامعه يعبر له فيها عن معنىً، أو جملة من المعاني لا تتحقق عن طريق الإخبار المحض –الجمل الاسمية، والفعلية– فيصبح الاستفهام في هذه الحالة كالمحرك يحول الطاقة الكامنة –القدرة اللغوية– إلى حركة وفعل –معنى– يتجاوب معه المستمع بعد أن يحسه، ويدركه بصورته الجديدة.

فجاءت الجملة الاستفهامية في قوله:

لَيْت شعْرِي أَهُمُودٌ   ما أَرَاه أَمْ قُنُوت؟

محولة عن الأصل التوليدي الإخباري للجملتين "هو همود" و "هو قنوت" الدالتين عما يراه

← مبتدأ + خبر = (م+ خ)، وهو في هذه الحالة إخبار محايد لا يفي بالغرض الشعري المقصود التعبير عنه، وهو إضفاء معنى الدهشة والاستغراب، وربما يصل الأمر إلى التهكم والسخرية إذا ما نظرنا إلى السياق – الكلام السابق واللاحق–؛ حيث إن الحال ترقى إلى التناقض بل التضاد بين ما هو عليه الآن، وما كان، أو ما كان ينبغي أن يكون عليه، يقول:

كُنْتُ مَطْبُوعــاً على النّــُطْقِ فما هذا السُّكوت؟

أَيْنَ أَمْلاكٌ لَهُم، في   كُلِّ أُفْقٍ مَلَكُوتُ؟[1]

[1] ديوان البارودي، 95.

فإذا وضعنا البيت الأول متوسطا هذين البيتين، أدركنا أن الشاعر لجأ إلى استعمال الاستفهام بـــ(الهمزة) كعنصر تحويل؛ لإفادة أكثر من معنى مما تستلزمه (الهمزة) منها: التعجب، والاستغراب، والتهكم على ما آل إليه الحال، فصارت الجملة بعد إجراء عدد من التحويلات اللغوية التي تقتضيها طبيعة اللغة في التعبير عن هذه المعاني، مثل التقديم، والتأخير:

← هُمود هو= (خ+ م)، ثم بزيادة الجملة الفعلية (ج.ف) ← (أراه)

← ف+ فا(□)+ مفع به (الضمير)، اقتضى استبدال (خ) بما يناظره (ما)، فصارت الجملة: ← خ+ م+ ج.ف (موصولية)= هُمود ما أراه، جملة تحويلية إخبارية تفيد الإخبار المحايد، وبزيادة (الهمزة) عنصر تحويل آخر، صارت الجملة:

← أهُمود ما أراه [= عنصر استفهام (س¯)+ خ+ م+ ج.ف (ف+ فا(□)+ مفع به)]

جملة تحويلية استفهامية تفيد التعجب والتهكم، وبزيادة المعادل الاستفهامي (أم)، وما يتطلبه هنا جملة اسمية (ج.س) ← (قنوت) (= م (□)+ خ) حُذف فيه (م) المبتدأ –أفاد المقارنة بين حالين بينهما والحال القائمة بعض المقاربة؛ ليضفي على المعنى لونا من التخيير الذي لا ينسجم مع أحدهما أو كليهما معا، فيستغرق السامع في إدراك حقيقة الحال الثالثة غير المقبولة من المتكلم.

فصارت الجملة في شكلها السطحي النهائي:

..← [س¯ +(خ+ م+ ج.ف (= ف+ فا(□)+ مفع به+ أَمْ + ج.س (= م(□)+ خ)]

جملة استفهامية تحويلية جرى فيها التحويل بالتقديم والتأخير، والحذف، والزيادة، والتعويض؛ لإفادة معنى الاستفهام الإنكاري.

وفي التركيب:

أَظَنَنْتَ لَوْعَتَهُ فُكاهَةَ مازِحٍ فَطَفِقْتَ تَعْذِلُهُ على تَهْيَامِه

جملة تحويلية أصلها التوليدي "لوعته فكاهة" ← (م+خ) تفيد الإخبار المحايد، والشاعر لا يقصد هذا المعنى، فلجأ إلى استعمال الفعل (ظن)، وما يتطلبه هذا الفعل من تعديل على بنية الجملة من حيث تركيب عناصرها، وترتيبها، فصارت:

ج ← ظننت لوْعَتَه فكاهةً ← [فع+ فا+ مفع به1 (مضاف+ مضاف إليه)+ مفع به2]

ولأن الشاعر لا يريد إخبار المخاطب بما يقوم هو بفعله من الظن، وإنما أراد أن يعبر عن مشاعر متعلقة به هو حيال هذا الفعل، وهي على كل مشاعر كما يظن الدارس الحالي –اللوم والعتاب، أضاف قيدا آخر وهو تحديد نوع الفكاهة المرادة؛ لتكون موغلة أكثر في التفكه، ثم استخدم أسلوبا آخر متخذا همزة الاستفهام عنصرا من عناصر التحويل؛ لإفادة هذا المعنى الدقيق، فصارت الجملة:

[س¯ (فع+ فا (ضمير)+ مفع به1(مضاف+ مضاف إليه(ضمير))+ مفع به2(مضاف+ مضاف إليه)]

جملة تحويلية جرى التحويل فيها بالزيادة؛ لإفادة معنى الاستفهام بما يصحبه من معنى اللوم والعتاب، ذلك أن السؤال لم يكن يراد به الإجابة عما يجهله القائل، وإنما كان المراد الإفصاح عن مشاعر اللوم والعتاب للفعل الذي تأكد وقوعه، حيث يبين الشطر الثاني من البيت ذلك، فالرابط السببي (الفاء) الذي يربط الجملة اللاحقة بما قبلها، يوضح أن ظن المخاطب انبنى عليه فعل آخر هو العذل (تعذله) مما استلزم الشاعر أن يفصح عن مشاعر اللوم والعتاب، وكأنما هو المقصود بهذا الظن والعذل.

أ ظننت لوعته فكاهة مازح فطفقت

تعذله ( ) على قيامه

والتركيب

أَتَرْغَبُ في السَّلامَةِ و هِيَ داءٌ وتَجْمَعُ للبَقَاءِ وأَنْتَ فانِي؟[1]

جملة تحويلية أصلها التوليدي "يرغب فلان في السلامة" ← (ف+ فا+ ش.ج) تفيد الإخبار المحايد، والشاعر لا يقصد هذا المعنى، فلجأ إلى خاصية الزيادة للإفصاح عما يريده من معانٍ، فَبَيَّنَ حالَ هذه السلامة بقوله: (وهي داءٌ)

← ج.س (= عنصر ربط (حالي)+ م+ خ)

لإفادة معنى قبح هذا النوع من السلامة؛ للتنفير منه، والابتعاد عنها. ثم بإضافة عنصر الاستفهام (الهمزة) كعنصر تحويل آخر يحمل معنى جديدا يريد الشاعر الإفصاح عنه، وهو (التوبيخ)؛ لزيادة التنفير بخاصة إذا نظرنا إلى سياق هذا التركيب، إذ يقول:

فَيا مَنْ ظَنَّ بالأيَّامِ خَيْراً رُوَيْدَكَ فَهْيَ أَقْرَبُ لِلحِرانِ

فإذا كان المخاطب يرغب بالسلامة بعد أن ظن بالأيام خيرا، وهو مصر على ذلك فإن التوبيخ يكون أقلَّ ما يستحقه، أما إذا كانت الرغبة متحصلة من النظر إلى الأيام من دون الإصرار عليها، فإن النصح، أو الإرشاد والتوجيه تكون ملاصقة، أو مصاحبة لمعنى الاستفهام. فصارت الجملة بتحويلاتها:

← س$^{-}$+ ج.ف [(= ف+ فا+ ش.ج) + ج.ف (=(ر) حالي+ م+ خ)]

جملة تحويلية كان التحويل فيها بالزيادة، والحذف؛ لإفادة الاستفهام التوبيخي في قراءة، والنصح والإرشاد في قراءة ثانية.

أ ترغب ( ) في السلامة و هي داء

وفي التركيب

أَتُرى الحَمامُ يَنُوحُ مِنْ طَرَبٍ مَعِي ونَدى الغَمامَةِ يَسْتَهِلُّ لِمَدْمَعِي

---

[1] ديوان البارودي، 650.

أصلها التوليدي مكوَّن من (الحمام ينوح)، جملة اسمية ← ج.س [= م+ (خ) (=ج.ف)]، أو (ينوح الحمام) ← ج.ف (= ف+ فا) تفيد الإخبار المحايد الذي لا ينهض بالإفصاح عن مشاعر المتكلم، فلجأ الشاعر إلى عنصر توصيلي، وهو الفعل –تُرى– وما يحمله من ظن وتشكك، يتَّكِئ عليه لإخراج المعنى المتصور في ذهنه، مقدِّما إيَّاه على بؤرة الحديث والجملة الأساس، مجريا تعديلا على البنية العميقة في الاحتمال الثاني الذي يفترض أن الجملة فعلية، حيث تقدم الفاعل على فعله، وزيادة شبه الجملة (معي) مفيدة حاجته إلى مشاركة آخرين في ما يعانيه من تباريح الحب ومعاناته، ثم زيادة شبه الجملة (من طرب)؛ لإفادة تخصيص نوع المشاركة المقصودة ، متقدمة على سابقتها المتعلقة بفعل النوح، ثم زيادة عنصر الاستفهام (الهمزة) الذي يحمل معنى التعجب من هذا النوح الذي يصدر من طرب؛ فالعلاقة هنا علاقة ضدية، أو تناقضية ما بين النوح والطرب، ولم يكن بمقدور الشاعر الإفصاح عنها بأسلوب خبري حتى لو استعان بعناصر تحويلية أخرى، فهو متشكك غير قادر على الحكم النهائي حول هذا الأمر، وكان أفضل أسلوب يمكِّنه من الإفصاح عن مشاعر التعجب الذي يرافقه التهكم والسخرية إلى حد ما، هو الإفادة من عنصر الاستفهام، فصارت الجملة:

← س-+ عنصر توصيلي+ ج.س (=م +(خ) (=ف+فا))+ م.ح (=حرف جر +اسم مجرور)+ م.ح (=حرف جر+ ضمير مجرور).

أو:

← س-+ عنصر توصيلي+ ج.ف (=ف+فا)+ م.ح (=حرف جر+اسم مجرور)+ م.ح (=حرف جر+ ضمير مجرور).

جملة تحويلية استفهامية جرى التحويل فيها بالترتيب والزيادة؛ لإفادة الاستفهام التعجبي، والتهكمي.

أ تُرى (□) الحمام ينوح (□) من طرب معـــــــي

وفي التركيب

أَلَيْسَ في الحقِّ أنْ يَلْقَى النَّزِيلُ بِكُمْ أمْناً إذا خافَ أنْ يَنْتابَهُ العَطَبُ؟

جملة تحويلية أصلها التوليدي: (يلقى النزيل أمناً) ← ج.ف (= ف+ فا+ مفع به)، تفيد الإخبار المحايد، وبزيادة القيد شبه الجملة ← (بكم) [= حرف جر+ اسم مجرور (ضمير)]، وتقديمه على (مفع به)؛ لتكثيف قيمة المخاطبين، والاهتمام بهم، صارت الجملة:

← ج.ف [= ف+ فا+ م.ح+ مفع به]. تحويلية تفيد أن أمن النزيل متعلق بكونه معهم. ثم بعد ذلك أضاف قيدا آخر (شبه الجملة) في الحق (= حرف جر+ اسم مجرور)، وتقديمه على بؤرة الجملة نافيا جُلَّ كلامه بإدخال عنصر النفي= ليس ← فعل ناقص، لا بقصد النفي، وإنما ليتكئ عليه في الإفصاح عما في نفسه، فصارت الجملة:

← ليس في الحق أن يلقى النزيل بكم أمنا

ثم بزيادة عنصر الاستفهام (الهمزة) في صدر الجملة المنفية ذات الخبر المؤكد في إحدى حالتيه، أعطت سياقيا التقرير بأن الشاعر يؤكد ويقر بأن الأمر يتحقق للتزيل إذا حلَّ بهم، وقوله هذا يدخل في باب إحقاق الحق، فضلا عما يرافقه من التماس ممن يخاطبهم ليكون له بعض المساحة عندهم إذا ألمت به المتاعب، فصارت الجملة:

← س- ~ (ف.ن+ خ(ش.ج) مقدم+ اسمه مؤخر (ر (مصدري)+ ج.ف= ف+ فا+ ش.ج (حرف جر+ اسم مجرور (ضمير) + مفع به).

جملة تحويلية كان التحويل فيها بالترتيب والزيادة؛ لإفادة معنى التقرير والالتماس.

أ ليس في الحق أن يلقى التزيل بـــكم أمنا

ثانيا: هل

الحرف الثاني من حروف الاستفهام هو: (هل)، ولا يسأل به إلا عن مضمون الجملة المثبتة، ويقصد به طلب التصديق الإيجابي، يدخل على الجملة الاسمية والفعلية، ولا يجوز الاستفهام به عن مفرد، أي لا يليه الاسم في جملة فعلية فيمتنع نحو: هل زيدا ضربت؟ لأن تقديم الاسم يشعر بحصول التصديق بنفس النسبة[1]. ويمتنع كذلك قولهم: هل زيد قائم أم عمرو؟؛ لأنه تصور، وطلب تعيين لا تصديق، وذكر المعادل (أم) بعدها يؤدي إلى التناقض؛ لأن الاستفهام بـــ(هل) يقتضي عدم العلم، وذكر المعادل يدل على العلم بالحكم، فيجتمع في الجملة الواحدة جهل بالحكم، وعلم به في آن واحد، وهذا لا يكون، وقد أجازه الكسائي[2]. مثلما يمتنع: هل لم يقم زيد؟؛ لأنه لا يجوز الاستفهام بها عن النسبة، أو ما يسميه ابن هشام التصديق السلبي[3].

فالدلالة الحرفية الأصلية لـــ(هل) هي الاستفهام، أما الدلالة المستلزمة التي ترافقها فقد تختلف من تركيب إلى آخر، حسب السياق، وحسب دخولها على الجملة؛ ذلك أن (هل) تدخل على الجملة الاسمية مثلما تدخل على الجملة الفعلية في أصلها التوليدي، فتحولهما إلى جملة تحويلية ناقلة المعنى الإخباري المحض إلى معنى جديد هو طلب العلم، أو الاستفسار عما يجهل السامع؛ لإزالة الإبهام، وقد يرافق ذلك معنىً آخرُ خفيٌّ، يراد للسامع أن يتبينه من دون أن يكون مضطرا لإجابة السائل إجابة محددة.

ذهب البلاغيون إلى أن (هل) قسمان: بسيطة، ومركبة، فقال الخطيب القزويني فيها: "وهي قسمان: (بسيطة): وهي التي يطلب بها وجود الشيء، كقولنا: (هل الحركة موجودة؟). و(مركبة): وهي التي يطلب بها وجود شيء لشيء، كقولنا: (هل الحركة دائمة؟)[4].

---

[1] سيبويه، الكتاب، 1/ 101، وابن هشام، مغني اللبيب، 339.

[2] السيوطي، همع الهوامع، 4/ 393، والمرادي، الجنى الداني، 341، والهروي، الأزهية، 208.

[3] ابن هشام، مغني اللبيب، 339.

[4] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق لجنة من الأساتذة، مكتبة المثنى، بغداد، 1/ 133.

من الملاحظ أن البساطة أو التركب إنما تتأتى من المسؤول عنه، وليس من (هل). فالسؤال في البسيطة عن الشيء موجود أم لا. في حين يكون السؤال في المركبة عن وجود الشيء مرتبطا بشيء آخر، (الشيء ودوام الحركة فيه)، وذكر هذا (السبكي) بقوله: "البساطة والتركب ليسا في (هل) بل في متعلقها"[1].

وقد تكرر ذكر (هل) في الديوان في أربعة وتسعين موضعا متخذة الأنماط الآتية:

أنماط التراكيب بـــ(هل)

← هل+ المستفهم عنه {= (ج.س)}

بناظِرِكَ الفَتَّانِ آمَنْتُ بالسِّحْرِ وهَل بَعْدَ إيمانِ الصَّبابةِ من كُفْرِ؟[2]

يا غاضبين علينا! هل إلى عِدَةٍ بالوَصْلِ يومٌ أُناغي فيه إقْبالي[3]

← هل+ المستفهم عنه {= (ج.ف)}

فهل تَرُدُّ اللَّيالي بَعْضَ ما سَلَبَتْ أمْ هل تَعُودُ إلى أوْطانِها الظُّعُنُ[4]

مبينة كما يرى الدارس الحالي المعاني الآتية: النفي، والتمني، والحزن، والنصح والإرشاد، والاستنكار، والتوكيد.

تحليل التراكيب

سأختار فيما يلي عددا من التراكيب لتحليلها إذ إن تحليل جميع التراكيب أمر فيه من التكرار والإطالة ما لا مسوغ لهما؛ ذلك أن كثيرا من التراكيب تكاد تتشابه من حيث التقديم والتأخير، والحذف والذكر، واستعمال مفردات استفهامية متشابهة، مثل الفعل، أو شبه الجملة، والدلالة المتوخاة من الاستفهام، وغيرها؛ لذا سأعمد إلى تحليل التراكيب حيثما وجدت فيها تجديدا وقيمة لغوية أو دلالية.

جاء في التركيب:

بناظِرِكَ الفَتَّانِ آمَنْتُ بالسِّحْرِ وهَل بَعْدَ إيمانِ الصَّبابَةِ من كُفْرِ؟[5]

جملة تحويلية بنيتها العميقة (كفر بعد إيمان)، جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبره: شبه الجملة ← (م)+ (خ= ش.ج)، تفيد الإخبار المحايد، وهو ما يقصده الشاعر؛ لأنه يعرف حقيقة الخبر ويتوقع سماع جواب مماثل لما وقر في ذهنه على المستوى الرمزي بطبيعة الحال، وكما يدلنا السياق إلى ذلك المعنى.

---

[1] بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح –شروح التلخيص–، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر، 2/ 271.

[2] الديوان، 200.

[3] الديوان، 446.

[4] الديوان، 635.

[5] الديوان، 200.

فلجأ الشاعر إلى إعادة ترتيب الجملة بتقديم (خ) (=ش.ج) وتأخير (م)؛ لأنه نكرة لدواع نحوية صرفة، ثم بزيادة (م.س) مركب اسمي إضافي (الصبابة) لتحديد نوع الإيمان الذي يتحدث عنه، وكذلك زيادة حرف الجر (من) الذي يعطي معنى القلّة (التبعيض) ليدلنا بصورة أكثر تكثيفا على وجود أقل نسبة ممكنة من الكفر. ثم لجأ إلى (ع.س¯) (=هل) الذي يفيد النفي معطيا المعنى بعدا دلاليا جديدا، وهو نفي ما يمكن أن يتوقعه السامع بصورة تامة، حيث لا يمكن أن يكون هناك أقل قدر من الكفر بعد أن يكون الإنسان قد آمن إيمان (الصبابة) الشوق المطلق، وكذا هو فقد آمن بسحر محبوبه فتّان الناظِرَيْن، بحيث يتأكد المحبوب أن لا رجعة مطلقا عن حبه؛ ذلك أن وجود (من) في حيِّز (هل) دون غيرها من أدوات الاستفهام، تعطي معنى استغراق نفي الجنس المتحَدَّث عنه[1]، والمقصود هنا النفي لكل جنس الكفر. فصارت الجملة:

← س¯+ خ(ش.ج)= ظرف مضاف+ م.س (مضاف إليه)+ م.س (قيد مضاف إليه)+ م= م.س (حرف جر زائد + اسم مجرور)

جملة تحويلية تفيد الاستفهام التصديقي مستلزما معنى النفي، فالشاعر يريد أن ينفي تحوله عن الإيمان بسحر محبوبه فتّان الناظِرَيْن، مؤكدا ذلك عن طريق نفي حصول أقل قدر من الكفر عند من آمن الإيمان المطلق.

هل بعد إيمان الصبابة من كفر

وفي التركيب

فهل تَرُدُّ اللَّيالي بَعْضَ ما سَلَبَتْ أمْ هل تَعُودُ إلى أوْطانِها الظُّعُنُ[2]

جملة تحويلية بنيتها العميقة (ترد الليالي شيئاً) ← ج.ف (= ف+ فا+ مفع به)، تفيد الإخبار المحايد، وهو غير ما يقصده الشاعر، وما لا يريد التعبير عنه، فلجأ إلى إجراء تحويلات محددة تتناسب والمعنى الذي يريد الإفصاح عنه، فحذف المفعول به المخصص، واستعاض عنه بما يشمله، ويشير إليه من غير تحديد، فهو يريد استرداد ما يمكن استرداده مما سلب منه، وبزيادة عنصر الاستفهام (هل) التي تفيد التصديق والدلالة التي يتوخاها الشاعر، وهي التمني، حيث يتمنى لو أن الليالي ترد عليه بعض ما سلبته، فصارت الجملة:

← س¯+ ج.ف (= فع+ فا+ م.س (مفع به) (= مضاف +مضاف إليه))+ ج.ف (موصولية) (= ف+ علامة تأنيث+ فا (□) +مفع (□))

جملة تحويلية تفيد الاستفهام التصديقي مستلزما معنى التمني فالشاعر لا يريد أن يعرف أن الليالي ترد بعض ما سلبت أم لا، وإنما يتمنى لو يحصل ذلك؛ فتعيد له بعض ما سلبته.

واستعمال (أم) بعد هذا التركيب متصدرا تركيبا استفهاميا آخر مبدوءا بـــ(هل)، ينسجم مع ما قاله النحاة قديما، فقد أجازوا ذلك (استعمال أم) على شرط أن يتلوَ المعادلَ الاستفهاميَّ (أم) حرفُ الاستفهام (هل).

---

[1] ابن هشام، مغني اللبيب، 1/ 323، والسيوطي، همع الهوامع، 2/ 35، وابن عقيل، شرح ابن عقيل، 2/ 16.

[2] ديوان البارودي، 635.

وقد استخدم الشاعر هذا الأسلوب مخالفا أقوال النحاة عندما قال:

لم أدر: هل نَبَغَت في الأرض نابغةٌ أم هذه شيمةُ الدنيا من القِدَم؟[1]

فجملة (هل نبغت في الأرض نابغة) جملة تحويلية أصلها العميق (نبغت نابغة)، جملة فعلية

← ج.ف (= ف+ علامة تأنيث+ فا).

وجملة (هذه شيمة الدنيا) ← ج.س (= م+ خ)

تفيدان الإخبار المحايد، وقد أجرى الشاعر عدداً من التحويلات في بنية الجملة، فقام أولاً بإضافة (في الأرض) ← (ش.ج)، و (من القِدَم) ← (ش.ج)، ثم أعاد ترتيب عناصر الجملة حيث قَدَّم (ش.ج) الأولى على (فا)؛ للأهمية أي ظهور الخبر ممن يتحدث عنهم على مستوى البشر جميعا في كامل الكرة الأرضية، وعندما أراد أن يفصح عن حقيقة مشاعره منهم في مثل هذا الموقف كان لابد من استعمال أسلوب الاستفهام بـــ(هل) فهو غير متأكد من حقيقة من يتكلم عنهم، وهو لا يريد الإجابة بنعم أو لا؛ لأن في ذلك احتمالا آخر يمكن أن تظهره الإجابة بلا، لهذا يخرج الشاعر عن الصيغة المتعارف عليها في الاستفهام بـــ(هل)، وهو التصديق إلى المعنى الآخر المستفاد من الاستفهام بالهمزة (التصور) وهذا هو الظاهر لنا بادئ ذي بدء، فصارت الجملة:

هل نبغت في الأرض نابغة أم هذه شيمة الدنيا من القِدَم؟

← س- + ج.ف (= ف+ ش.ج)+ ع.ر (أم)+ ج.س (= م+خ (= مضاف+ مضاف إليه)+ ش.ج

جملة تحويلية، جرى فيها التحويل بالزيادة، والترتيب؛ لإفادة معنى التخيير مستلزما دلالة الاستغراب، وتوكيد كلا الخيارين.

والجملة من حيث دلالتها الشكلية –بالنظر إلى استعمال (هل) والمعادل (أم) في تركيبها– تعطي بعدا آخر من الدلالة، فالاستفهام التصوري غير مقصود، وأنَّ استعمال (أم) مقصود؛ فهي رابط معنوي، تعطي معنى حرف العطف، يستوي في مكانه وضع (الواو)، أو (الفاء)، وإنما حال الوزن الشعري دون وضع أحدهما، إذ يلحظ الدارس أن الشاعر قد استعمل (أو) في بعض المواضع المشابهة، كقوله:

هذي "الجزيرةُ" فَانْظُرْ هل ترى أحدا يَنْأى به الخَوْفُ أو يَدنُو به الطَّمَعُ[2]

فاستفهام التصديق ربما يقتصر على ما قبل الربط، فالرابط (أم) وما بعده (الجملة الاسمية) خارجة عن الاستفهام، وتشكل جملة ابتدائية جديدة، وعلاقتها بالاستفهام أن الجواب مهما كان بـــ(نعم)، أو بـــ(لا)؛ فإن قناعة السائل راسخة بأن (هذه شيمة الدنيا من القِدَم) حق، فإذا كان الجواب بـــ(نعم) فهو ما يتفق مع ما يفهمه الشاعر، ويقتنع به وبهذه تأخذ الحكمة (الجملة الاسمية) طريقها إلى الإقناع، وتلبس لبوس القيم الرفيعة.

---

[1] ديوان البارودي، 620.

[2] ديوان البارودي، 337.

أمَّا إذا كان الجواب بـــ(لا) فإن خاطرا آخر غير موجود في ذهن الشاعر يمكن أن يكون الجواب؛ لذا يسارع الشاعر إلى نفي أي احتمال آخر؛ ليثبت مقولته بأن من يتكلم عنهم ينطبق عليهم ما يقول، ولن يكونوا بالتأكيد غير ما ينسجم مع هذه المقولة، وكأنه يستبعد الإجابة التصديقية؛ ليجيب: هذه شيمة الدنيا من القدم. والجملة على هذا الرأي تكون:

هل نبغت في الأرض نابغة؟ فهذه، أو وهذه شيمة الدنيا من القِدَم.

بذا لا تكون هناك مخالفة نحوية لما قرَّره النحاة، وإنما يصبح من الجائز استخدام (أم) مع (هل) لغايات دلالية من دون أن يقع المتكلم بمحاذير نحوية لغوية.

هل نبغـــــت في الأرض نابغة أم هذه شيمة الدنيا من القدم

وفي التركيب

لم أدرِ هل خَطْبٌ ألَمَّ بساحَتي فأناخَ أمْ سَهْمٌ أصابَ سَوادي

جملة تحويلية أصلها (ألَمَّ خَطْبٌ) ← ج.ف (= ف+ فا). وهي جملة لا تفي بغرض المتكلم في هذا السياق، فلجأ إلى تقديم الفاعل للعناية والاهتمام، وتنكيره هنا له فائدة عظيمة تنسجم مع الجملة (لَمْ أدْرِ) التي تصدرت الاستفهام، إذ يبدو الأمر وكأنَّ المصيبة، أو ما نزل بالشاعر يفوق الوصف والتعريف، بحيث كان له الأثر الكبير عليه، ولفظة (أناخ) وإن كانت تقف عند حد اللزوم، بمعنى الإقامة والمكث، إلا أنها قد تتجاوز ذلك فتحتاج إلى مفعول به، وهو هنا بلا شك الشاعر الذي آثر عدم الإفصاح عنه، ربما تحت ثقل وطأة هذا الخطب الذي اقتضى ذكر (ش.ج) بساحتي؛ ليدلل على هيمنته على الشاعر، والمكان بالدرجة نفسها.

وبزيادة (هل) الاستفهامية لا للسؤال عن وجود الخطب؛ لأنه في حقيقته نازل بساحته، وإنما يريد أن يسأل عن هذا الرابط ما بين (الخطب، والساحة، والإناخة) التي حصلت، وإنَّ السؤال بهذا الأسلوب لا يريد منه الشاعر الإجابة التصديقية بـــ(نعم، أو لا)، كما تفيد ذلك الأداة الاستفهامية (هل)، وإنما المقصود بهذا الاستفهام إظهار مشاعر الحزن الذي انتاب الشاعر بعد وفاة زوجته، وكأنما يطلب من الآخرين الإحساس بهذا الألم والتوجع الذي يعاني منه، وتبين مصدره، ووجود الرابط (أم) ربما ينسجم مع ما سبق قوله، فصارت تحويلات الجملة كما يأتي:

← م.ف= ف+ فا+ ش.ج (ح.جر+ س. مجرور (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير)

← فا+ ف+ ش.ج (ح.جر+ س. مجرور (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير)

← س¯+ فا+ ف+ ش.ج (ح.جر+ س. مجرور (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير)

جملة تحويلية جرى التحويل فيها بالزيادة والترتيب؛ للإفصاح عن مشاعر الحزن والألم.

وبالنظر إلى تعدد القراءات النحوية الجائزة، أو المحتملة فإنه يمكن القول أن خطب (= فا) في هذه الجملة هو (م) مبتدأ، وأن (خ) الخبر هو (م.ف) (=ف+ فا()) بعده، فتكون الجملة:

← س¯+ م+ خ (ف+فا(□)) + ش.ج (ح.جر+ س. مجرور (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير).

أو أن يكون (فا) خبرا (خ)، والمبتدأ (م) محذوف تقديره (هو) أو مما يناسب السياق، فتصبح الجملة:

← س¯+ م (□)+ خ+ م.ف (ف+فا(□)) نعت+ ش.ج (ح.جر+ س. مجرور (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير)

وهنا يلزم التنبيه (ثانيا) إلى جواز دخول أداة الاستفهام (هل) على الاسم إذا كان الفعل في حيزها، وهو من باب التوسع كما ذكر النحاة؛ لأنها تدخل على الجملتين الفعلية والاسمية، وتحولهما إلى معنى جديد يختلف من تركيب إلى آخر يشارك السامع في تبينه.

وأمر (ثالث) يمكن لحظه في هذه الجملة وأمثالها كذلك، وهو أنه بتفحص السياق الاستفهامي فإننا سنلحظ أن الاستفهام ورد ضمن سياق ادماجي إخباري أكبر، وعليه فإنه لا غرابة إذا لم يكن التنغيم الاستفهامي واضحا، فالقوة الإنجازية للسؤال تندمج في مثل هذه التراكيب، وتطغى عليها القوة الإنجازية المصاحبة للحمل الرئيس، وهو هنا (لم أدر).

وعليه هل تصدق هنا الملحوظة الآتية: أن أداة الاستفهام لم يكن لها الصدارة كما اشترط النحاة من قبل؟ ذلك أن الاستفهام ورد ضمن سياق إخباري أوسع، وأشمل فلم يكن له خيار إلا أن يفقد خاصية الاستفهام، ويصطبغ بدلالة السياق الإخبارية، فهو بهذه الحالة تابع، أو مدمج في سياق يعد فيه مكملا له "لا ينفرد الحمل المدمج بتنغيم قائم الذات يلائم القوة الإنجازية التي تواكبه، وإنما تحمل الجملة رمتها التنغيم الذي يلائم القوة الإنجازية التي تواكب الحمل الرئيسي، فالحمل المدمج في الجملة (لا أدري هل سيسافر خالد؟) مثلا، لا يأخذ التنغيم الملائم للاستفهام، وإنما يأخذ التنغيم الملائم للإخبار، أي القوة الإنجازية المواكبة للحمل الرئيسي"[1].

فوجود مثل هذه التراكيب حيث تتوسط أداة الاستفهام السياق اللغوي ضرورة ملحة في كلامنا؛ لذا فإن إعادة النظر في مقولة النحاة بتصدر أدوات الاستفهام دائما قد تصبح مقبولة، يقول عبد القادر الفاسي الفهري: "وفي منظور النحاة أن هذه الأسماء والحروف لها الصدارة، وإن كان هذا –فيما أعتقد– غير صحيح في جميع الأحوال، فالأسماء التي أعتبرها مركبات اسمية، أو حرفية، أو ظرفية، (لأنها تقوم مقامها) قد تظل في مكان داخل الجملة دون أن تتصدرها، وذلك في نوعين من الاستفهام: الاستفهام –الصدى (وهو استفهام يكرر الجملة الخبرية محافظا على الرتبة فيها، والاستفهام المتعدد، أو هو استفهام تصوري ينصب على أكثر من مكون"[2]

---

[1] أحمد المتوكل، **الجملة المركبة**، 120-121. ومازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية لتحليل التراكيب، 208، و ما بعدها. و ج.ب. براون، و ج. يول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي، ومنير التريكي، لا.ط، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، 1418هـ-1997م، 277-279.

[2] عبد القادر الفاسي الفهري، **اللسانيات واللغة العربية**، دار توبقال، المغرب، 1985م، 110.

فهل يكون الحزن الشديد الذي ألَـــمَّ بالشاعر بسبب وفاة زوجته سببا في هذا الاستخدام المتفرد لأسلوب الاستفهام؟ بل هل كان رثاء الزوجة كغرض شعري قليل الطرق من الشعراء سببا لهذا الاستخدام القليل لهذا الأسلوب؟ وهل –فعلا– كان هذا الاستخدام خروجا مقصودا من الشاعر يريد منه التجديد في محتوى القصيدة وقالبها، ومن ثم اللغة، مثلما كان التعبير عن رثاء الزوجة، وإظهار الحزن الشديد عليها؟.

(ج1– أ) ← س¯+م.ف+ م.ح+ ر (سببي)+ م.ف+ أم+ م.ف

← م.ف= فا (مقدم)+ ف

← م.ح= ح. جر+ س. مجرور (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير)

← م.ف= ر (سببي)+ ف+ فا (□) مفع به (□)+ أم

← م.ف= فا (مقدم) ف+ مفع به (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير)

(ج1– ب) ← س¯+ م.س+ م.ح+ ر (سببي)+ م.ف+ أم+ م.س

← م.س= م+ خ= [ف+.فا(□)] أو

م (□)+ خ (اسم ظاهر)+ م.ف= [ف+.فا(□)] نعت

← م.ح= ح. جر+ +س. مجرور (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير)

← م.ف= ر (سببي)+ ف+ فا (□)+ مفع به(□)+ أم

← م.س= م+ خ [ف+.فا(□)]+ مفع به (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير).

أو: ← [م (□)+ خ (اسم ظاهر)+ (ف+.فا (□))+ مفع به (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير)].

(ج2) ← م.ف (منفي)+ م. استفهامي (مفع به)

← ح. نفي+ م.ف [ف+فا (□)] + مفع به (م.استفهامي)

← م.استفهامي [ع. س¯+ [(م.ف) ↔ (م.س)]+ م.ح

← م.ف (ف.فا) ↔ م.س [م+ خ (م.ف) ↔ م (□) +خ+ م.ف (ف+ فا+ (□)] نعت+ م.ح (ح. جر+س. مجرور (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير).

← ر(سببي)+ م.ف (ف+ فا (□)+ أم+ [(م.ف) ↔ م.س)]

← م.ف (فا+ ف+ مفع به (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير) ↔ م.س [(م+ خ (م.ف)] ↔ م (□)+ خ+ م.ف [(ف+ فا (□) + مفع به (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير)] نعت.

وفي التركيب

لم أدْرِ: هل ثابت إليه أنَاتُه أم لم يَزَلْ في غَيِّه وهُيامِه[1]

[1] ديوان البارودي، 612.

جملة تحويلية أصلها التوليدي (ثابت أنات فلان) ← ج.ف (= ف+ فا) إخبارية لا تعبر عما يقصده الشاعر، فزاد (ش.ج) = (إليه)، وقدمها على (فا)، ثم لجأ إلى استخدام الاستفهام (هل)؛ لإفادة معنى التنبيه، والنصح والتوجيه، مستخدما المعادل (أم)، إذ إنه لا يريد الإجابة عن سؤاله بـــ(نعم) أو (لا)، فصارت الجملة:

س¯+ م.ف [= ف+ش.ج+ فا (مضاف+ مضاف إليه (ضمير))+ أم+ م.ف(منفي)(= ف +فا(□))+ م.ح (= ح.جر+ س. مجرور+ مضاف إليه (ضمير) + ح.عطف+ س.مضاف+ مضاف إليه (ضمير)]

فهي جملة تحويلية جرى التحويل فيها بالزيادة والترتيب؛ لإفادة معنى التخيير مستلزما دلالة التنبيه والنصح والإرشاد؛ لتحقيق الخيار الأول.

ولكن اللافت في هذا التركيب جملة أشياء ناقشنا بعضها فيما سبق من تراكيب، ففضلا عن دخول التركيب الاستفهامي في سياق إخباري، أوسع، أولا، ودخول المعادل الاستفهامي (أم) على الخيار الثاني من دون تكرار (هل) ثانيا، فإن ثمة أمرا ثالثا، وهو ما لم نناقشه فيما سبق، وهو دخول (أم) على سياق استفهامي منفي، إذ منعه النحاة "... مثلما يمتنع: هل لم يقم زيد؟؛ لأنه لا يجوز الاستفهام بها عن النسبة"[1]، أو ما يسميه ابن هشام "التصديق السلبي"[2] فلا بد من وجود (هل) مذكورة، أو حتى محذوفة. فهل هذا استخدام جديد استحدثه الشاعر من لغة الناس؟ هل تكون (أم) هنا حرف عطف ليس غير بمعنى (أو) ضمن تركيب الاستفهام ربما يكون هذا صحيحا، وربما يكون شيء آخر هو الصحيح، كأن تكون (أم) هذه واقعة ضمن السياق الإخباري عامة كرابط استدراكي؛ فتكون بمعنى (بل) مثلاً. كأن الشاعر أجاب سؤاله أو عدل عنه مؤكدا عكس ما خمَّنه، أو ضمَّنه سؤاله، ومستنكرا هذا الفعل في الوقت نفسه.

فتكون الجملة على هذا الأساس:

← م.ف (منفي)+ مركب استفهامي (مفع به)+ ر (عطفي)+ م.ف (معطوف) منفي+ م.ح×2

← م.ف (منفي) (= ح. نفي وقلب+ ف+ فا (□))

← مركب استفهامي (مفع به) (= س¯+ ف+ (علامة تأنيث))+ ش.ج (= ح.جر+ س. مجرور (ضمير))

← ر. عطفي (أم)+ م.ف (معطوف) منفي (= ح.نفي+ ف+ فا (□))

← ش.ج (= ح. جر+ س. مجرور (مضاف)+ مضاف إليه (ضمير))+ ر. عطفي)+ س. معطوف (مضاف+ مضاف إليه (ضمير)

ثانيا: أسماء الاستفهام: وهي (ما)، و(من)، و(أي)، و(كيف)، و(أين)، و(متى)، و(أنَّى) واستعملها الشاعر كما هو مبين في الجدول أدناه:،

---

[1] ابن هشام، مغني اللبيب، 339.

[2] ابن هشام، مغني اللبيب، 339.

أسماء الاستفهام	ما	من	أي	كيف	أين	متى	أنّى	مجموع التكرار
التكرار	85	34	53	116	41	26	10	365

1- ما

اسم استفهام، ومعناه (أيَّ شيء)، نحو: "ما هي، ما لونها، وهي مبهمة، مضمنة معنى الحرف، تقع على كل الأجناس"[1].

إذا سبقت بحرف جر فيجب حذف ألفها، والاستعاضة عنها بالفتحة، فيقال: علامَ؟ فيمَ؟ وإثبات الهاء في آخرها عند الوقف أجود؛ لأننا نحذف من آخرها الألف، فيصبح آخرها كآخر: ارْمِه، واغْزُه، وقد شاع حذف الهاء، ... وربما تبعت الفتحة الألف في الحذف، فسكنت الميم، وهو مخصوص في الشعر[2].

وقد نقل إثبات الألف في (ما) الاستفهامية مع اتصالها بحرف الجر لغة[3]، وقيل ضرورة[4]. والأصل في (ما) الاستفهامية أن تكون لغير العاقل، وقد ذهب الفرّاء وغيره إلى أن العرب تجعلها في بعض المواضع خاصة بالعاقل على قِلّة، مع أنه لم يشع ذلك في الاستعمال[5].

ويرى ابن الحاجب أن (ما) مبهمة تقع على كل شيء فلا تختص بما لا يعقل عند الإبهام مع أن الأصل فيها أن لا تكون مبهمة وعند ذلك تختص بغير الناس[6].

في حين عدَّها الزجاجي اسما تاما بغير صلة، مع أن الأصل فيها أن تحتاج إلى ما يزيل إبهامها، ولكنها في الاستفهام تامة لا تحتاج إلى صلة[7]، وتأتي (ما) الاستفهامية لمعان أخرى، مثل: التحقير، والتعظيم، والإنكار[8].

وهي –كما ذكرنا قبل قليل– موضوعة للاستفهام عن غير العاقل، وعن المبهم فلا يجوز أن تقول: ما زيد؟ مستفهما، ذلك أن (زيد) هنا ليس مبهما، وهو عاقل، فلا يجوز أن تستفهم بـ(ما) إلا إذا كنت مستفهما عن صفة زيد. فإن جعلت الصفة في موضع الموصوف على العموم جاز أن تقع على ما يعقل، فتقول: ما زيد؟ لتجاب على سؤالك بإحدى صفاته: طويل، قصير[9]. وتدخل (ما) على الاسم، كما تدخل على الفعل، نحو: "ما قولك؟" و "ما تقول؟"، ثم إنه يلحق بها (ذا) وعندها لا تحذف ألفها، نحو: لماذا جئت؟ لأن ألفها صارت حشوا، وقد ذكر ابن هشام أوجه (ما) عندما تتركب مع (ذا)، وهي كما يأتي:

---

[1] ابن الحاجب، **الإيضاح في شرح المفصل**، 230، والسيوطي، **مفتاح العلوم**، 149.، وابن هشام، **مغني اللبيب**، 294.

[2] سيبويه، **الكتاب**، 1/ 127، 4: 164، 228.

[3] بدر الدين الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، 4/ 402.

[4] أبو حيان النحوي، **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، 1/ 122.

[5] الفراء، **معاني القرآن**، 1/ 102، وأبو حيان النحوي، **الارتشاف**، 1/ 54.

[6] ابن الحاجب، **الإيضاح**، 1/ 487.

[7] الزجاجي، **الجمل في النحو**، 361.

[8] رضي الدين الأستراباذي، **شرح الكافية**، 2/ 53.

[9] المبرد، **المقتضب**، 2/ 296، 1/ 41، 48. وابن السراج، **الأصول في النحو**، 2/ 139.

1-أن تكون (ما) استفهامية، و(ذا) اسم إشارة.

2-أن تكون (ما) استفهامية، وذا موصولة، كقول لبيد:

ألا تسألان المرءَ ماذا يحاول أ نحب فيقضي أم ضلال وباطل

فـ(ما) مبتدأ، بدليل إبداله المرفوع منها، و(ذا) موصول، بدليل افتقاره للجملة بعده.

3-أن تكوم (ماذا) كلها استفهاما على التركيب، كقولك: لماذا جئت؟

4-أن تكون (ما) زائدة، و (ذا) للإشارة.

5-أن تكون (ما) استفهاما، و (ذا) زائدة.[1]

والذي يراه الدارس الحالي أن (ما) عنصر استفهام ليس بمختص، يدخل على الجملة التوليدية، أو التحويلية: الاسمية، أو الفعلية؛ لإزالة الإبهام الذي في الاسم أو التعرف إلى صفته، أو للاستفهام عن الفعل بشكل عام في حال دخوله على الجملة الفعلية، ولعل في دخول حرف الجر على (ما) تحديدا يخص الشيء المسؤول عنه، وذلك حسب حرف الجر الداخل.

وهي تدخل على الجملة فتحولها إلى جملة استفهامية، تحمل في سياقها معنى بلاغيا آخر.

أمّا بالنسبة إلى حذف الألف من أداة الاستفهام (ما) عند دخول حرف الجر عليها، فالصحيح أن هذا الحذف يمكن ردُّه إلى تغير (فنولوجي) صوتي يحدث لهذه الأداة -ولغيرها من الأدوات- فتُحْذَف بعض الأصوات منها، أو تُقَصَّر حركة طويلة فيها، وربما يُحْذَف في بعض المواضع مقطع كامل، وهنا فإن الأمر لا يخرج عن كونه تقصيرا في حركة الفتح الطويلة -الألف- إذ يعد علماء اللغة أن الألف عبارة عن فتحة طويلة أو مشبعة"[2]، أو كما قال ابن يعيش قديما: "إن الفتحة هي ألف صغيرة"[3].

عدا ذلك فإنه لا يصح القول بحذف الألف إطلاقا، إلا في موضعين هما: الضرورة الشعرية فيما يسمونه في الشعر الإطلاق، وهو ما ذكره النحاة بالشذوذ أو عندما تلحقه اللاحقة (ذا)[4].

والحديث الزائد عن (ذا) أهي اسم إشارة أم موصولة، أم زائدة؟ لا ضرورة له، وكان يكفي أن يقال: إن (ما) واللاحقة (ذا) تشكلان تركيبة استفهامية يسأل بها عن غير العاقل والمبهم.

وقد ترددت (ما)، و(ماذا) في أربعة وثمانين موضعا، مضفية على سياقاتها معاني مختلفة، كما يأتي:

أولا: (ما) وقد تكررت في سبعة وستين موضعا، حاملة المعاني الآتية:

---

[1] ابن هشام، مغني اللبيب، 296، وانظر سيبويه، الكتاب، 2/ 417.

[2] مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب، 21.

[3] ابن يعيش، شرح المفصل، 9/ 64.

[4] الأنباري، الإنصاف، 10/ 301، وابن هشام، مغني اللبيب، 1/ 298-299، والبغدادي، خزانة الأدب، 7/ 109-110.

ت	المعنى
-1	التعجب
-2	التعظيم
-3	التحقير
-4	الإقرار والتأكيد
-5	الإنكار
-6	الاستعطاف والاستمالة

ثانيا: (ماذا) وقد تكررت في سبعة عشر موضعا، داخلة على الجملة الاسمية، والجملة الفعلية، وشبه الجملة، كما يأتي:

ت	نوع الجملة	مجموع التكرار
-1	الاسمية	4
-2	الفعلية	7
-3	شبه الجملة	6
المجموع		17

أنماط التراكيب بـــ(ما): أخذ الاستفهام بـــ(ما) الأنماط الآتية:

← ما+المستفهم عنه {= (س)}، ومنه:

طورا تغني وأحيانا تنوح فما ذاك الغنا وهذا النوح والوله؟[1]

← ما+المستفهم عنه {= (ج.ف)}، ومنه:

غَرَّني، ثم تَولَّى ليت شعري، ما بدا له؟[2]

← ما+المستفهم عنه {= (ش. ج)}، ومنه:

إذا ساء صنع المرء ساءت حياته فما لصروف الدهر يوسعها سَبَّا[3]

← حرف جر+ ما (محذوفة الألف)+ المستفهم عنه {= (ج. ف)}، ومنه:

إلامَ يهفو بحلمك الطَّرَب؟ أبعد خمسين في الصِّبا أرَبُ؟[4]

← حرف جر+ ما (محذوفة الألف)+ المستفهم عنه {= (س)}، ومنه:

ففيمَ اقتناء الدرعِ والسَّهْمُ نافذٌ؟ وفيم ادِّخارُ المالِ والعُمْرُ ضائعُ؟[5]

← ماذا+ المستفهم عنه {= (ج. س)}، ومنه:

---

[1] ديوان البارودي، 703.

[2] ديوان البارودي، 484.

[3] ديوان البارودي، 82.

[4] ديوان البارودي، 88.

[5] ديوان البارودي، 316.

إذا ما أقر المرءُ بذنبه فماذا الذي تُغني لَجاجةُ خصمه؟[1]

← ماذا+ المستفهم عنه {= (ج. ف)}، ومنه:

ماذا يضرُّكَ لو سمحتَ بنظرة تحيا بها نفسٌ عليك تسيلُ؟[2]

← ماذا+ المستفهم عنه {= (ش.ج)}، ومنه:

ماذا على من بخلت نفسه بالوصل لو قبَّلتُ طرف الأتَكْ؟[3]

تحليل التراكيب

نلحظ من كل ما سبق أن (ما) عنصر استفهام دخل على الجملة الفعلية (ج.ف) والجملة الاسمية (ج.س) وكذلك شبه الجملة (ش.ج) فحولتها من توليدية إخبارية إلى استفهامية، يقصد بها السؤال عن حقيقة الشيء المسؤول عنه، حاملة معنى آخر.

فقد يكون التعظيم مقصودا عندما قال: "فما ذاك الغنا وهذا النوح والوَلَه"، فالنوح والغناء من الصفات التي يمكن للإنسان أن يعكسها على تلك الطيور نظرا إلى تنوعها، فتصدر من الأصوات ما يمكن تصنيفه تحت هذين اللونين من المشاعر، فعندما سأل عن الغناء أبدله من اسم الإشارة (ذاك) الدال على البعد، فالغناء بعيد يصعب الشعور به في حالة مثل تلك التي يعيشها الشاعر في منفاه، بينما نراه استعمل النوح بدلا عن اسم الإشارة (هذا) القريب جدا من حالة الشاعر، وشعوره الحقيقي الذي ينوء تحت ثقله؛ فهو بذلك وضع الضدين في سياق استفهامي واحد مستعملا (ما).

وفي التركيب: "فما لصروف الدهر يوسعها سبا؟"استعمال متفق مع ما قال به النحاة، لكنها تحول الجملة إلى معنى آخر هو التعجب، الذي يبديه الشاعر حيال من يسب الدهر مع العلم أن صنيع الإنسان هو الذي يجعل من حياته سيئة، فبدل أن يحسن من فعله يتوجه إلى سب الدهر الذي يمضي عليه وعلى غيره.

وكذلك التركيب: "إلامَ يهفو بحلمك الطرَبُ؟" وهو استعمال (ما) محذوفة الألف بسبب دخول حرف الجر عليها، بما يتفق مع أقوال النحاة، وقد توجه الشاعر إلى معنى (الإنكار) بسبب ذلك الخروج عن المألوف الذي يقوم به المسؤول، برغبته العودة إلى أيام الصِّبا والطرَب الذي يرافقها، مع التأكيد أن ما فات لا يرجع، والأولى أن يتوجه الإنسان إلى خالقه بالعبادة والزهد في هذه الدنيا الفانية التي لم يتبق منها الكثير.

أمَّا التركيب: "فماذا الذي تغني لَجاجةُ خصْمه؟"ربما يكون فيه نفي لبعض مقولات النحاة، حيث دخلت (ما) على (ذا) التي قال بعضهم إنها بمعنى (الذي) فهل يعقل أن تكون بهذا المعنى إذا تلاها الاسم الموصول (الذي) نفسه؟ وعليه تكون (ماذا) عنصر استفهام قائم برأسه، مثله مثل (ما) أو (هل) وغيرهما، وهو ما ذهب إليه

---

[1] ديوان البارودي، 571.

[2] ديوان البارودي، 495.

[3] الأتَك: الذيل. ديوان البارودي، 394.

الدارس الحالي، ولعلها في هذا السياق تكون محولة لمعنى النفي أو الإنكار، فإمَّا أن الشاعر ينفي أن تكون للَجاجة الخصم قيمة أو فائدة، أو إنه يستنكر على الخصم أن يقوم باللجاجة على إقرار خصمه بالذنب.

وفي التركيب الأخير: "ماذا يضرُّك لو سمحتَ بنظرة؟" جملة استفهامية محولة لمعنى الاستعطاف والاستمالة لتقديم نظرة يمكن لها أن تحيي نفسا عاشقة.

2- مَنْ

اسم يسأل به عن العاقل، حيث لا تستخدم في السؤال عن غيره من الأشياء، وتدخل على الاسم: معرفة ونكرة على حد سواء، والفعل ماضيه ومضارعه، من دون استثناء أو تخصيص[1].

وقال بعضهم: إن في الاستفهام بها عن المعرفة لغتين: الأولى الحجازية حيث تحمل على الحكاية، فيسأل بها عن الاسم كما ورد في السياق: رفعا، أو نصبا، أو جرا، فيقال: من زيد؟ لمن قال: هذا زيد. ومن زيداً؟ لمن قال: رأيت زيداً. ومن زيدٍ؟ لمن قال: سلمت على زيدٍ[2].

الثانية: التميمية، إذ يرفعون على كل حال، وارتضاه سيبويه[3]، أما المبرد فقد قبل الرأيين من دون أن يرجح أحدهما على الآخر، قال: "... وهذا سبيل كل اسم علم مستفهم عنه تحكيه كما قاله المخبر، ولو قلت في جميع هذا: من عبد الله كان حسنا جيدا"[4].

وقد ترد (ذا) مع (من) في نحو: من ذا لقيت؟ على أن تكونا مركبتين كالكلمة الواحدة، أو تكون (من) استفهامية، و(ذا) موصولة، أو (من) استفهامية، و(ذا) زائدة، على رأي الكوفيين[5]. ولعل مصدر هذا الاختلاف بين النحاة مردُّه إلى أنهم يعدوُّن (مَن) اسما، في حين يعدُّون (من ذا) مركبا من اسمين لكل منهما موقعه من الإعراب، فألزموا أنفسهم بهذه الأقوال المختلفة.

وذكروا أن بنيتها تتغير بحسب الذي تكنى له إفرادا، أو تثنية، أو جمعا، تذكيرا وتأنيثا، فتصبح: منان، مَنَيْن، مَنين، منون، منه، منتين، منات[6].

والذي يراه الدارس الحالي أن (مَن) عنصر استفهام، وكذلك (مَن ذا) يستفهم بهما عمَّا يخص الإنسان بشكل عام –الأسماء والصفات– فهي تكون سؤالا عمَّا يشخِّص ويعيِّن المسؤول عنه من بين ذوي العلم، تدخل على الجملة لتنقلها من معنى الإخبار إلى معنى جديد هو معنى الاستفهام.

---

[1] سيبويه، **الكتاب**، 4/ 228، والمبرد، **المقتضب**، 2/ 52، 296، 3: 63، وابن يعيش، **شرح المفصل**، 4/ 10، وابن السراج، **الأصول**، 2/ 360، وابن فارس، **الصاحبي**، 274.

[2] سيبويه، **الكتاب**، 2/ 413.

[3] المصدر نسه، 2/ 413.

[4] المبرد، **المقتضب**، 2/ 309.

[5] سيبويه، **الكتاب**، 2/ 416، وابن هشام، **مغني اللبيب**، 1/ 327.

[6] سيبويه، **الكتاب**، 2/ 408، وابن السراج، **الأصول**، 2/ 418، وابن يعيش، **شرح المفصل**، 4/ 15.

وقد ترددت (مَن) في الديوان (35) خمسا وثلاثين مرة، حاملة المعاني الآتية:

النفي	التمني	التحسر	التعجب	الإنكار	التفخيم

أنماط التراكيب بـ(مَن)

← من+ المستفهم عنه {= (ج.ف)}

ومَن يقود الزحوفَ راجفة واليومُ بالحرب ساطعٌ قَتَمُه[1]

← من+ المستفهم عنه {= (س)}

سمع الخليُّ تأوهي فتَلَفَّتا وأصابه عجَب فقال: من الفتى؟[2]

← من+ المستفهم عنه {= (ش.ج)}

فمَن إلى مَلْجأ الضعيف إذا أقبل ليـــلٌ وأطْبَقَت ظُلَمُه[3]

تحليل التراكيب

يقول الشاعر:

فمَن إلى مَلْجأ الضعيف إذا أقبل ليـــلٌ وأطْبَقَت ظُلَمُه

ومَن يقود الزحوفَ راجفة واليومُ بالحرب ساطعٌ قَتَمُه

في البيت الأول نلاحظ التركيب الاستفهامي "من إلى ملجأ الضعيف" جملة تحويلية أصلها التوليدي (فلان إلى ملجأ الضعيف) جملة توليدية لا تعطي المعنى المقصود منها، فحذف (م) واستبدله بعنصر الاستفهام (من) وبزيادة القيد الشرطي، وبتقديم جوابه، صارت تحويلات الجملة كما هي عليه؛ لإفادة معنى التحسر، فالشاعر لا يريد الاستفسار عن الشخص المسؤول عنه بقدر ما هو بحاجة إلى الإفصاح عن مشاعر الحزن والألم التي أصابته حتى إنه يشعر أنه لا يستطيع أحد أيًا كان تخفيفها عنه.

وفي البيت الثاني الذي يحمل المعنى نفسه غير أن دخول (مَن) كان على الجملة الفعلية (يقود)، وإضافة القيد الحالي (اليوم بالحرب ساطع قتمه)؛ ليبين أنه لا يريد معرفة المسؤول عنه بقدر ما هو راغب في تبيان حالة الألم والتفجع التي أصابته نتيجة فقد المسؤول عنه، وهنا قد يرى الدارس الحالي مشروعية السؤال عن البديل الذي يحل محل الفقيد الغالي، وهل قصد الشاعر هذا المعنى، أو ألمح إليه في غمرة حزنه العميم؟

وفي التركيب:

سمع الخليُّ تأوُّهي فتَلَفَّتا وأصابه عجَب فقال: من الفتى؟

---

[1] ديوان البارودي، 562.

[2] ديوان البارودي، 93.

[3] ديوان البارودي، 562.

جملة تحويلية أصلها التوليدي (الفتى فلان) (= م+ خ)، وبحذف الخبر، والاستعاضة عنه باسم الاستفهام، وتقديمه، صارت الجملة تحويلية بالحذف والزيادة وإعادة الترتيب؛ لإفادة معنى التعجب، والاستغراب لا لحقيقة المسؤول عنه، وإنما للحالة التي ظهر عليها.

من إلى مَلْجأ الضعيف إذا أقبل ليل و أطبقت ظلمه

3- كيف

اسم يستعمل على وجهين: الثاني منهما، والغالب فيها أن تكون استفهاما، إمَّا حقيقيا، نحو: "كيف زيد؟"، أو غيره، نحو: "كيف تكفرون بالله؟"[1] الآية، فإنه أخرج مخرج التعجب[2]. وتكون للسؤال عن الحال، يقول سيبويه: "وكيف: على أي حال؟"[3]، يقال: كيف أنت؟ فتقول: صحيح، وآكل، وشارب، والأحوال أكثر من أن يحاط بها، فإذا قلت: (كيف)؛ فقد أغنى عن ذكر ذلك كله[4]. وقد تستعمل حالا لا سؤال معه، نحو: "لأكرمنك كيف كنت" أي على أي حال كنت، و(كيف) بمعنى التعجب[5].

ونقل عن سيبويه أن (كيف) ظرف، وعن السيرافي والأخفش أنها اسم غير ظرف[6]. أمَّا ابن هشام فيرى: أنها تأتي مفعولا مطلقا، وأن منه: "كيف فعل ربك" إذ المعنى: أيَّ فِعْل فَعَل ربك، ولا يتجه فيه أن يكون حالا من الفاعل[7]، فموضعها عند سيبويه نصب دائما، وعند الأخفش والسيرافي رفع مع المبتدأ[8].

والغالب أن يليها (الفعل) لأن الأصل في حروف الاستفهام أن يذكر بعدها الفعل[9]، ولا تصلح (كيف) لإتباع ما بعدها لما قبلها.

يقول ابن الحاجب: "كيف لحال استفهاما، وعدَّت من الظروف؛ لأنها بمعنى: على أي حال، والجار والظرف متقاربان، وكون (كيف) ظرفا مذهب الأخفش، وهو عند سيبويه اسم بدليل إبدال الاسم منها، نحو: "كيف أنت؟" أصحيح أم سقيم؟ ولو كانت ظرفا لأبدل الظرف منها، نحو: متى جئت؟ أيوم السبت أم يوم الأحد؟ وقال الأخفش: يجوز إبدال الجار والمجرور منها، نحو: كيف زيدٍ؟ أعلى الصحة أم على أي حال ...؟"[10].

---

[1] سورة البقرة، 28.

[2] ابن هشام، مغني اللبيب، 208.

[3] سيبويه، الكتاب، 4/ 233، والمبرد، المقتضب، 3/ 289، وابن يعيش، شرح المفصل، 4/ 109.

[4] ابن السراج، الأصول في النحو، 2/ 104.

[5] ابن فارس، الصاحبي، 243.

[6] ابن هشام، مغني اللبيب، 208.

[7] المصدر نفسه، 209.

[8] المصدر نفسه، 209، وسيبويه، الكتاب، 4/ 233.

[9] سيبويه، الكتاب، 1/ 435.

[10] الأستراباذي، شرح الكافية، 2/ 11، 17.

وتخرج (كيف) إلى معان غير استفهامية، ويعرف ذلك بقرينة السياق، ومنه، أن تكون للتعجب، نحو: "كيف تكفرون بالله" قال الفراء: الآية على وجه التعجب، والتوبيخ لا على الاستفهام المحض، أي ويحكم كيف تكفرون[1]، ويعدها بعض البلاغيين للسؤال عن الحال وحقيقته، فإذا قيل: كيف زيد؟ فجوابه: صحيح أو سقيم أو غير ذلك[2]

مما سبق ندرك مدى الاضطراب الذي وقع فيه النحاة عند حديثهم عنها، إذ يعدونها مرَّة حالا، ومرَّة ظرفا، وثالثة مفعولا مطلقا، وسبب هذا أنهم عدُّوها أصلا من أصول التركيب الذي ترد فيه، والصحيح أنها غير ذلك؛ فهي عنصر استفهام في هذا الموضع كغيرها من أدوات الاستفهام، يدخل على التركيب الإخباري في بنيته العميقة فيحوله من معناه إلى معنى الاستفهام عن أمر يجهله المتكلم بها، ويرى أن المخاطب على قدر من العلم به، وقد تخرج إلى معان أخرى، مثل: النفي، والإنكار، والتحذير ... مما يستلزمه السياق الاستفهامي المقصود أحيانا بدلالة قرينية. ولا يعني هذا خروجها من كونها أداة إلى الاسمية.

وتكررت في (106) مائة وستة مواضع؛ لتفيد الاستفهام، والغالب عليها أن تكون استفهاما حقيقيا تحمل معاني أخرى، مثل: التعجب والنفي، والمصاحبة للحال، وفي استخدام البارودي أخرج هذه الأداة كما يرى الدارس الحالي إلى معنيين، هما: النفي، والتعجب، داخلة على الجملة الاسمية، والفعلية، كما قرر النحاة من قبل:

أنماط التراكيب بـــ(كيف)

← كيف+ المستفهم عنه {= (ج.ف)}

وكيف يصح بعد الغدر ودّ وتسلم نية بعد ارتياب؟[3]

← كيف+ المستفهم عنه {=(ج.س)}

فكيف احتيالي بين أمرين أشْكَلا عليَّ فصارا شِقوة وغراما؟[4]

← كيف+ المستفهم عنه {=(ش.ج)}

ما كان أحْسَنَ عَهْدَهُ لَوْ دامَ لي مِنْهُ الوِدادُ، وكَيْفَ لي بِدَوامِهِ؟[5]

تحليل التراكيب

في التركيب

وكيف يصح بعد الغدر وُدُّ وتسلمُ نِيَّةٌ بعد ارتياب؟

---

[1] الفراء، معاني القرآن، 1/ 23، والسيوطي، البرهان في علو القرآن، 4/ 331.

[2] القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 232، والعلوي، الطراز، 3/ 28.

[3] ديوان البارودي، 84.

[4] ديوان البارودي، 576.

[5] ديوان البارودي، 616.

جملة تحويلية أصلها في البنية العميقة "يصح ود" و "تسلم نية" جملتان فعليتان لا تعبران عمَّا يريده الشاعر، فأضاف شبه الجملة (ش.ج) في كل جملة "بعد الغدر"، و "بعد ارتياب"، وقدمها في الجزء الأول، ثم لجأ إلى استخدام أداة الاستفهام (كيف) الدالة على الحال؛ لتفيد معنى آخر وهو النفي، وكأنما يريد الشاعر أن يقول: إنه لا يمكن أن يكون الحال كما تصوره المسؤول بأن "يصح الود"، و"تسلم النية"، بعد كل الغدر والارتياب.

وفي التركيب

وكيف لا تبلغ الأفلاكَ دولةُ مَنْ أضحى به العدلُ حِلاًّ غيرَ محظور؟[1]

جملة تحويلية أصلها "تبلغ دولةُ الأفلاك" جملة فعلية (= ف+ فا+ مفع) لا تفي بالغرض الذي يقصده الشاعر، فلجأ إلى جملة تحويلات لتحقيق المعنى الذي يرغب، تحويل الفاعل إلى مضاف، وزيادة المركب الاسمي المنسوخ (=ف.ن+ ش.ج+ الاسم+ خ+ نعت مضاف+ مضاف إليه)، ثم زيادة أداة النفي، ثم أداة الاستفهام التي تفيد معنى حال المركب المنفي، مستلزمة معنى التعجب من عدم تصديق الآخرين وصول الدولة المكانة العالية بخاصة إذا كان من يقودها يمتلك القدرة على تحقيق العدل المطلق الذي يفيء به كل إنسان.

وفي التركيب

فكيف احتيالي بين أمرين أشْكَلا عليَّ فصارا شقوة وغراما؟

جملة محلة عن الجملة النواة –البنية العميقة– بوساطة أداة الاستفهام (كيف)؛ لإفادة معنى الاستفهام، مستصحبا معنى التعجب، فالشاعر لا ينتظر جوابا عن سؤاله، وإنما يؤكد مشاعر التعجب لوصف حاله الذي لا يسر صديقا بما يبعث في النفس جوا من الحزن والحيرة المشوبان بالرغبة في الاستقرار على حال تبعد القلق عن نفسه.

وهي هنا تتطابق مع الخبر من حيث الموقع الإعرابي الذي سدت مسدَّه، كما يأتي:

أداة الاستفهام +م.س (=مضاف +مضاف إليه) +م.ح (+ظرف مضاف +مضاف إليه)

أمَّا في حالة لزوم دخول أداة الاستفهام (كيف) على الفعل كما قال بذلك أغلب النحاة، فإن فعل الكون هو الأكثر مناسبة في مثل هذه الحالة، وعندها تكون أداة الاستفهام في موضع خبر الفعل الناقص (ف.ن) يكون، كما يأتي:

4- أين

يستفهم به عن المكان[2]، فيقال: أين زيد؟ كأنه أريد أن يقال: أفي الدار زيد أم في المسجد، أم في السوق، أم في بغداد، أم في البصرة؟ وفي ذلك إطناب؛ فجيء بـــ(أين) مشتملا على الأماكن كلها، فهي في إفادتها العموم مثل (كيف) غير أن بينهما فصلا، وهو أنك إذا قلت:"أين زيد؟ لم يجب على المسؤول أن يذكر في الجواب

---

[1] ديوان البارودي، 203

[2] سيبويه، الكتاب، 1/ 220، والمبرد، المقتضب، 2/ 53.

أكثر من مكان واحد، لأن شيئا واحدا لا يكون له أكثر من مكان واحد في وقت واحد، ويكون له أحوال عديدة في حال واحدة فالغرض به الايجاز والاختصار"[1].

وأين مبنية على الفتح، ولا تصلح لاتباع ما قبلها لما بعدها بالحركة؛ لأنه يبدأ بها ولا يضمر بعدها شيء. وقال الزجاج: تكون استفهاما كقولك: أين أخوك؟ وأين زيد؟ وتكون بمنزلة (حيث) كقولك: أين أنزل؟ وأين أبيت؟[2]. ويرى ابن يعيش أنها تأتي شرطا مضمنة معنى الاستفهام، ويزاد عليها (ما)، نحو: أينما تكونوا أكن، ودخول (ما) عليها لزيادة ابهامها[3]. وذكرها ابن فارس بقوله: " إنها تكون استفهاما عن مكان، وشرطا لمكان"[4]. وهي عند البلاغيين[5] سؤال عن تصور حقيقة المكان، نحو قوله تعالى: "أين شركاؤكم"[6]

وهي كما يبدو لنا أداة، ولا علاقة لها بالاسمية، ولابالظرفية، مع أنه لا تناقض مع ذلك، فلا تحتاج إلى إعراب، أو تقدير؛ فهي أداة استفهام، يستفهم بها عن المكان مطلقا، حيث تصبح -جزءا من التركيب الأساسي في الجملة النواة، وتكون مقابلا للجزء المسؤول عنه في ذلك التركيب، بحيث لا يجوز حذفها، إذ إن حذفها يعني عودة التركيب إلى تركيب إخباري، كما هو في البنية العميقة، ولا يحتمل التنغيم نقل الدلالة المطلوبة من الأداة (أين).

تراكيب الاستفهام بـــ(أين)، تكررت (أين) في أربعين موضعا، وقد دخلت على الاسم، في (35) موضعا، وعلى الفعل في (5) مواضع. مستفهما بها عن المكان.

أنماط التراكيب بـــ(أين)

← أين+ المستفهم عنه {= (ج.ف)}

وأين أبغي ناصرا هيهات والخيرُ انطوى[7]

← أين+ المستفهم عنه {= (ج.س)}

وأين من تملك الأحرارَ شيمتُه والغدر في الناس داء غير منسجم؟[8]

تحليل التراكيب

في التركيب

---

[1] ابن يعيش، شرح المفصل، 4/ 104، والجرجاني، المقتصد في شرح الإيضاح، 1/ 134.

[2] الزجاجي، حروف المعاني، 34.

[3] ابن يعيش، شرح المفصل، 4/ 105.

[4] ابن فارس، الصاحبي، 142، 201.

[5] العلوي، الطراز، 3/ 288، والسكاكي، مفتاح العلوم، 150.

[6] سورة الأنعام، آية، 22.

[7] ديوان البارودي، 716.

[8] ديوان البارودي، 618.

وأين أبغي ناصرا هيهات والخيرُ انطوى

دخلت أداة الاستفهام على الجملة الفعلية ← ج.ف (= فع +فا +مفع) فحولتها إلى معنى آخر، ربما يكون (الاستبعاد)، يدلنا على ذلك فضلا عن (أين) السياق الذي وردت فيه –التركيب الاستفامي.

وفي التركيب

وأين مَنْ تملك الأحرارَ شيمتُه والغدرُ في الناس داءٌ غيرُ مُنْحَسِم

وقد دخلت الأداة في هذه الجملة على الاسم؛ لتحول معنى الجملة من السؤال عن المكان تحديدا إلى معنى التمني، حيث إن الشخص الذي يحمل الشمائل الجيدة، ويستطيع أن يأسر الأحرار بها غير موجود؛ بسبب تفشي الغدر بين الناس، وقد تحمل كذلك معنى الاستبعاد، فوجود ذلك الشخص مستبعد نظرا إلى ما ذكره من فساد أخلاق الناس، وعدم القدرة على انصلاحها.

وفي التركيب

أين أهلُ الدارِ، فانْظُرْ هل ترى بالدار أهلا؟[1]

في الجملة تحويل بأداة الاستفهام (أين) من السؤال عن المكان المحدد إلى معنى الوعظ، وإسداء العبرة لمن يسمع مثل هذا السؤال، فالأهل قد طواهم الردى، والدار قد خلت من أهلها.

5- أيّ

يسأل بها عمَّا يميِّز أحد المتشاركَيْن في أمر يهمُّهما؛ ولذلك تُفَسَّر بـــ(همزة) الاستفهام، و(أم) في طلب التعيين، وقد ذهب النحاة إلى أن (أيّ) هي بعض ما تضاف إليه، قال المبرد: "اعلم أن (أيّا) تقع على شيء هي بعضه، ولا تكون إلا على ذلك في الاستفهام، وذلك قولك: (أيّ أخوتك زيد؟) فقد علمت أنَّ زيدا أخوه، ولم تدر أيهما هو ... واعلم أن كل ما وقعت عليه (أي) فتفسره (ألف) الاستفهام، و(أم)، ولا تكون إلا على ذلك؛ لأنك إذا قلت: (أزيد في الدار أم عمرو؟) فعبارته أيهما في الدار؟ ولو قلت: (هل زيد منطلق؟) أو (مَن زيد؟) أو (ما زيد؟) لم يكن لـــ(أي) هاهنا مدخل فـــ(أي) واقعة على جماعة مما كانت إذا كانت (أي) بعضا لها[2].

وتستعمل لمن يعقل، ولمن لا يعقل بحسب ما تضاف إليه؛ لأنها بعض من كل، فإن أضفتها كانت منه[3]، فهي لا تدخل إلا على الاسم.

وقالوا بأنها معربة من بين أسماء الاستفهام لحملها على النظير، أو النقيض، أو عليهما معا، والنظير لها (بعض) والنقيض لها (كل)، وهما معربان؛ فأعربت حملا عليهما، أو على أحدهما[1]. وتخرج لمعان أخرى مصاحبة للاستفهام، مثل: التحسر، الإنكار، التعجب، والنفي.

---

[1] ديوان البارودي، 509.

[2] المبرد، المقتضب، 2/288، 294. وسيبويه، الكتاب، 4/233.

[3] ابن جني، المحتسب، 1/ 268، 2/ 288. وابن يعيش، شرح المفصل، . والسيوطي، الأشباه والنظائر، 2/ 215.

أنماط التراكيب بـــ(أيّ)

وقد ذكرت في الديوان (53) موضعا، دخلت فيها على العاقل، وغير العاقل، كما يأتي:

ت	نوع الاسم	التكرار
1-	العاقل	17
2-	غير العاقل	36
	لمجموع	53

← أي +المستفهم عنه {= (عاقل)}، ومنه:

أي فتى للعظيم نَنْدُبُه شاطَ على أنْصُلِ الرِّماحِ دَمُه[2]

← أي +المستفهم عنه {= (غير عاقل)}، ومنه:

وأيُّ حسامٍ لم تُصِبْهُ كَلالَةٌ؟ وأيُّ جوادٍ لم تَخُنْه الحَوافِرُ؟[3]

تحليل التراكيب

في التركيب الأول نلحظ أن الاستفهام حوّل الجملة في بنيتها العميقة من معناها الاخباري الرئيس إلى معنى الاستفهام متضمنا معنى آخر مستلزَما بأداة الاستفهام (أي)، وهو استبعاد إمكانية استبدال ذلك الشخص الذي قضى لمواقف صعبة يمكن مواجهتها بعده.

وفي التركيب الثاني جرى تحويل الجملة الخبرية في بنيتها العميقة بوساطة أداة الاستفهام إلى معنى الاستفهام مستلزما معنى التأكيد والاقرار بأن كل السيوف لابد أن تصيبها الكلالة، وكذلك كل الجياد لابد أن تكبو.

6- متى

تأتي متى على خمسة أوجه، اسم استفهام[4]، نحو: (متى نصر الله؟)[5]، وهي "سؤال عن زمان مبهم يتضمن جميع الأزمنة"[6]، ومثلها في الإشارة إلى الزمان (أيّان)، قال سيبويه: "إن (أيّان) للسؤال عن الزمان، وهي بمعنى (متى)"[7]. ويؤكده ابن الحاجب إلا أنه يقول: "إن متى أكثر استعمالا، وتختص (أيّان) بعظام الأمور، نحو قوله تعالى: "أيّان مرساها"[8]، وكذلك فهي تختص بالاستفهام عن المستقبل، بخلاف متى التي تستعمل في الماضي والمستقبل"[9].

---

[1] ابن الخشاب، **المرتجل**، تحقيق علي حيدر، دمشق، 1972م، 272.

[2] ديوان البارودي، 561.

[3] ديوان البارودي، 243.

[4] ابن هشام، **مغني اللبيب**، 327.

[5] سورة البقرة، الآية، 214.

[6] ابن يعيش، **شرح المفصل**، 4/ 104.

[7] سيبويه، **الكتاب**، 4/ 235، 217/1.

[8] سورة، الأعراف، الآية، 187، وسورة النازعات، الآية، 42.

[9] رضي الدين الأستراباذي، **شرح الكافية**، 2/ 116.

ويقول ابن فارس: "متى سؤال عن الوقت، فتكون شرطا، وبمعنى وسط في لغة هذيل"[1]، وهي في الزمان بمنزلة (أين) في المكان، وتنقل إلى الجزاء كأين[2]، قال الشاعر:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

فالسؤال بها يكون عن الزمان دون السؤال عن العدد، ويجاب عليها باليوم، أو الشهر كذا، والآن، أو حينئذ، ولا يجوز القول: متى زيد؟ لأن الزمان لا يكون خبرا عن الجثة[3].

ويقول سيبويه: "وإذا قال: ما معنى متى؟ قلت: في أي زمان"[4].

وقد تظهر معان أخرى لها عند الاستعمال، مثل: التفخيم، والتهويل، والاستبطاء، ...، والحقيقة أن السياق هو الذي يظهر مثل هذه المعاني، ذلك أن (متى) عنصر استفهام تدخل على الجملة، فتحول معناها إلى الاستفهام عن الزمان مطلقا، فهي مثل أخواتها من أدوات الاستفهام تثري بها الجمل التي تدخل عليها.

أنماط التراكيب بـ(متى)

وردت (متى) في (26) ستة وعشرين موضعا متخذة الأنماط الآتية:

← متى +المستفهم عنه {= (ج. ف)}، ومنه:

متى ينقضي عمر الحياة فتنقضي مآربُ كانت علّةً للمظالم[5]

← متى +المستفهم عنه {= (ج. س)}، ومنه:

يا سعدُ قل لي فأنتَ أدرى متى رِعانُ العقيقِ تبدو[6]

تحليل الأنماط

في التركيب

متى ينقضي عمر الحياة فتنقضي مآربُ كانت علّةً للمظالم

جرى تحويل البنية العميقة في التركيب من الاخبار المحايد إلى الاستفهام عن الزمان باستعمال أداته (متى) التي تحمل كذلك معنى آخر يريد الشاعر تضمينه سؤاله، ربما يكون الاستبطاء، أو التمني؛ لأنه لا يريد الاجابة بتاريخ محدد، بل يريد أن يرى وقتا يعود فيه العدل، وينتهي فيه الظلم وأسبابه.

وفي التركيب

يا سعدُ قل لي فأنتَ أدرى متى رِعانُ العقيقِ تبدو

---

[1] ابن فارس، الصاحبي، 277.

[2] ابن يعيش، شرح المفصل، 7/ 45.

[3] رضي الدين الاسترابادي، شرح الكافية، 2/ 116.

[4] سيبويه، الكتاب، 4/ 235.

[5] ديوان البارودي، 574.

[6] ديوان البارودي، 168.

جرى تحويل البنية العميقة في التركيب من الاخبار المحايد إلى الاستفهام عن الزمان المتضمن معنى آخر، وكما يظهر للدارس اظهار اللهفة والتشوُّق لرؤية الأهل، والعودة إلى الموطن.

7- أنَّى

وردت في عشرة مواضع، وكانت بمعنى (كيف)، كما جاء عن سيبويه، حيث ذكر أنها تعني كذلك (أين)[1].

وقد ذكرها المفسرون بمعنى (كيف)، كما في قوله تعالى: "أنَّى يحيي هذه الله بعد موتها"[2]، وبمعنى (من أين) كما في قوله تعالى: "أنَّى يكون لي ولد"[3]، وربما جاز في الموضعين كلا المعنيين[4].

وأكد نحاة ومفسرون بأنها تأتي بمعنى (من أين)، ولا تكون بمعنى (أين)، وذكر ذلك البلاغيون أيضا؛ فهي لا تأتي إلا بمعنى (كيف)، و(من أين)[5]؛ لأن (أين) تعني المكان الذي حلَّ فيه الشيء، و(من أين) سؤال عن المكان الذي برز منه الشيء.

يقول البارودي:

بلغتُ مجهودَ نفسي في الثناء ولم أبلغ عُلاكَ، وأنَّى يُدْرَك القمرُ؟[6]

وقوله:

أنَّى يفرُّ المرءُ من شَرَكِ الرَّدى والموتُ مقدورٌ على الحَيَوَانِ؟[7]

جرى في الجملتين السابقتين تحويل من البنية العميقة فيهما، والتي تحمل الاخبار المحايد، إلى معنى جديد هو الاستفهام بـــ(أنَّى)، الذي يحمل معنى إضافيا، وهو كما يرى الدارس (معنى النفي)، فكما أن القمر لا يدرك في الجملة، كذلك فإن مكانة الممدوح في نفس الشاعر لا يمكن إدراكها مهما بذل من جهد.

وكذا الأمر في الجملة الثانية، فهل هناك من جهة يمكن أن تنجي الانسان من الموت، إذ هو مقدور على كل ما فيه حياة؟ فإذا كان بعد المكانة المقصود من الثناء في الأولى منفيا، فإن النفي يقع على المكان في الثانية، ولعل فيهما معنى (كيف)، وهو ما يتفق مع أقوال النحاة.

---

[1] سيبويه، الكتاب، 4/ 235.

[2] سورة البقرة، آية، 259.

[3] سورة، آل عمران، الآية، 47.

[4] ابن فارس، الصاحبي، 113. والرضي الأستراباذي، 2/ 116. والسيوطي، البرهان في علوم القرآن، 4/ 249، وتأويل مشكل القرآن، 525. وجامع البيان، 2/ 397.

[5] السكاكي، مفتاح العلوم، 150. والسكّي، عروس الأفراح، 2/ 289.

[6] ديوان البارودي، 221.

[7] ديوان البارودي، 690.

القسم الثاني: الاستفهام محذوف الأداة

لأن الهمزة (أم) أدوات الاستفهام؛ فقد خُصَّت بعدة أحكام منها: أنه يجوز حذفها سواء تقدمت على (أم) أم لم تتقدمها، حيث يبقى السياق دالا عليها،1 بينما لا تحذف (هل) خشية التباس المعنى، وعدم وضوحه؛ لأنها تحمل معنى استفهاميا خاصا وهو السؤال عن النسبة، أما بقية أدوات الاستفهام فلأنه يستفهم بهن عن معناهن الحقيقي الذي وضعن له، كالسؤال عن العاقل، أو الزمان، أو المكان، أو الحال، أو السبب، وغيرها، فلا يجوز حذفهن.

ولعل الدارس الحالي يرى أن (هل) ينسحب عليها ما أجراه النحاة على الهمزة من حيث جواز حذفها؛ بخاصة إذا كان المقصود من السؤال بها التصديق، إذ تلتقي مع الهمزة في هذه النقطة؛ فقرينة التنغيم المصاحبة للاستفهام بهما تقع على آخر مقطع في الجملة صاعدة من أسفل إلى أعلى2. بخلاف نغمتها الهابطة قبل تحويلها إلى الاستفهام3؛ لذا فإن حذفها يصبح جائزا في جملة (هل قرأت الدرس؟) كما هو جائز في الجملة: (أقرأت الدرس؟).

وإذا كان هذا كذلك، فإن الأدوات الأخرى كما يؤكد الدرس الألسني الحديث صارت جزءا من البنية العميقة للتركيب الذي ترد فيه؛ لذلك لم يجز حذف أيّ منها.

وكان العربي يعبر عمَّا في ذهنه من معان في باب الاستفهام أكان بأداة أم بغيرها، ذلك أن إيقاع الجملة، ومقام التلفظ بها علامة وظيفية دالة على الاستفهام بما يصاحبها من نغم صوتي عادة ما يرافق تراكيب الاستفهام، فإذا قال الشاعر:

بدا لي منها معصم حين جمَّرت ... وكفٌّ خضيب زُيِّنت ببنان

فوالله ما أدري وإن كنت داريا ... بسبع رميت الجمر أم بثمان[4]

فهو يريد أبسبع؟، أو قال، ولم يذكر (أم) بعدها:

طَرِبْتُ وما شوقا إلى البيض أطْرَبُ ... ولا لَعِبا مني، وذو الشَّيْبِ يَلْعَبُ؟[5]

فهو يريد: أوَ ذو الشَّيْبِ يَلْعَبُ؟

أو قوله كذلك:

ثم قالوا: تُحبُّها؟ قُلْتُ: بَهْرا ... عددَ الرمل والحصى والتراب[6]

فهو يريد: أتحبها؟

---

[1] سيبويه، **الكتاب**، 3/ 174-175. وابن يعيش، **شرح المفصل**، 8/ 154-155. وابن هشام، **مغني اللبيب**، 21. والسيوطي، **همع الهوامع**، 2/ 69. وابن جني، **المحتسب**، 2/ 205، 254، 322.

[2] تمام حسان، **اللغة العربية –معناها ومبناها**، 229 -230. ومازن الوعر، **نحو نظرية لسانية .....**، 168.

[3] تشومسكي، **البنى النحوية**، 95.

[4] ديوان عمر بن أبي ربيعة، ط1، دار صادر، بيروت، إعادة الطبع 1412هـ-1992م. وسيبويه، **الكتاب**، 1، 485. والمبرد، **المقتضب**، 3/ 394. وابن جني، **المحتسب**، 1/ 50. وابن يعيش، **شرح المفصل**، 8/ 154.

[5] ابن جني، **الخصائص**، 2/ 281. و**المحتسب**، 1/ 50. وابن هشام، **مغني اللبيب**، 21.

[6] ديوان عمر بن أبي ربيعة، 60. سيبويه، **الكتاب**، 1/ 157. وابن جني، **الخصائص**، 2/ 281. وابن يعيش، **شرح المفصل**، 1/ 121. وابن هشام، **مغني اللبيب**، 21.

يدلنا على ذلك إيقاع الجملة، ومقام التلفُّظ بها؛ فهي علامة وظيفية دالة على الاستفهام بما يصاحبها من نغم صوتي يرافق عادة هذه التراكيب، فالنغمة الصوتية تصبح عند هذا الحد عنصرا من عناصر الاستفهام مثلها مثل أي أداة تحول الجملة من معنى الإخبار إلى معنى الاستفهام.

فإذا كان النبر والتنغيم في بعض اللغات العالمية يعد من الوسائل الرئيسة في تحديد معاني مفرداتها: اسمية كانت أم فعلية، فإن اللغة العربية لا تعتمد على النبر في تحديد مستوياتها الكلامية، بمعنى أن يكون النبر محددا لإسمية هذه الكلمة أو فعليتها، ولكنها تعتمد التنغيم كعنصر من عناصر تحديد معنى الجملة رمتها؛ فالتنغيم لا يكون في الاستفهام، وفي الجمل عموما إلا لمعنى، وقد أدرك النحاة قديما هذا الخاصية، وذكروها مع أنهم لم يؤلوا فيها كثيرا، وابن جنّي يستخدم التشكيل الصوتي في فهم بعض المعاني النحوية، يقول: "فقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها. وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: (سير عليه ليلٌ)، وهم يريدون: ليلٌ طويلٌ. وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها. وذلك أنك تحسُّ في كلام القائل لذلك من التطويح، والتطريح، والتفخيم، والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويلٌ أو نحو ذلك. وأنت تحسُّ هذا من نفسك إذا تأملته. وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلا! فتزيد في قوة اللفظ بـــ(الله) هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام، و إطالة الصوت بها، و(عليها)، أي رجلاً فاضلاً، أو شجاعاً، أو كريماً، أو نحو ذلك. وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانا! وتمكنَ الصوت بإنسان، وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً أو جواداً، أو نحو ذلك. وكذلك إن ذممته، ووصفته بالضيق، قلت: سألناه وكان إنساناً! وتزوي وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك: إنساناً لئيماً أو لَحِزاً أو مبخَّلاً أو نحو ذلك. فعلى هذا وما يجري مجراه تحذف الصفة. فأما إن عرِيت من الدلالة عليها من اللفظ أو من الحال فإن حذفها لا يجوز"[1].

والتنغيم كما يعرفه محمود السعران: "المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع (الصعود) والانخفاض (الهبوط) في درجة (Pitch) الجهر (Voice) في الكلام"[2].

فالمقطع اللفظي المنبور له وظيفة إبراز المعلومة الجديدة في الوحدة النغمية. وفي الحالات العادية غير الموسومة يلعب المقطع اللفظي المنبور دور إبراز آخر كلمة في الوحدة النغمية التي تكون عادة الكلمة الرئيسة في الجزء الذي يحتوي على المعلومة الجديدة[3].

ويقول تمام حسان: "أي مقطع في المجموعة الكلامية، سواء كان في وسطها أو في آخرها، صالح لأن يقع عليه هذا النوع من النبر ... ولكن الملاحظ أن المسافات بين كل حالتي نبر تبدو كأنها متساوية تقريبا وهذا ما نسميه الإيقاع فالتنغيم يكون بارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام وربما كان له وظيفة نحوية ..."[4].

---

[1] ابن جني، الخصائص، 370/2- 371.

[2] محمود السعران، علم اللغة –مقدمة للقارئ العربي، 159.

[3] ج.ب. براون، و ج. يول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي، ومنير التريكي، 183-184.

[4] تمام حسان، مناهج البحث اللغوي، 163، وما بعدها.

فقد بات من الثابت ارتباط مفهومي –التصويت والإيقاع معا– منذ القديم بالمادة الدلالية المتوخاة –ابتداء من الحرف، إلى اللفظة المفردة، إلى التركيب البسيط، إلى الجملة المركبة، لذا رأينا اهتمام النحاة في مختلف العصور على الإفادة من النظام الصوتي للكلام؛ للتمييز بين المعاني النحوية.

وقد أفاد البارودي في ديوانه من هذه الخاصية؛ فاستخدم أسلوب الاستفهام من دون اللجوء إلى هذه الأداة في خمسة مواضع، متلوة بفعل، وباسم، ذاكرا المعادل الاستفهامي (أم) في أربعة، كما يأتي:

← أداة الاستفهام (□) +المستفهم عنه {= (ج.س)}، ومنه:

وأنجُمٌ تلك أم فُرْسانُ عادِيَةٍ تختالُ في موكبٍ كالبحرِ مَسْجُورِ؟[1]

وقوله:

فتلك لآلٍ، أمْ رَبيعٌ تَفَتَّحَتْ أزاهِرُهُ كالزُّهْرِ، أمْ نَظْمُ ناظِمِ؟[2]

← أداة الاستفهام (□) +المستفهم عنه {= (ج. ف)}، ومنه قوله من غير (أم):

تلوميني على عَبَراتِ عَيْني؟ ولولا الحُبُّ لم تَجْرِ المآقي[3]

نلحظ في هذه التراكيب عدم وجود أداة استفهام، وهي (الهمزة) المرجحة في مثل هذه المواضع، أو هل كما يزعم الدارس، ولكن ما نلحظه أيضا أنه جرى زيادة نغمة صوتية صاعدة مصاحبة للتلفظ بالمقطع الأخير في كلمة (أنجمٌ)، مع تحقيق النبر على المقطع قبل الأخير؛ لإفادة معنى الفرح والسرور، وليس لمعنى الاستفهام المجرد حسب. والأصل فيها "أأنجمٌ ...؟"، وكذا الشأن بالنسبة للمركبات الأخرى؛ فأصلها التوليدي: "أفتلك ...؟"، و"أتلوميني ...؟" فتصبح النغمة في موقع الأداة –العلامة النحوية الدالة على الاستفهام– من حيث وظيفتها، والمعنى الذي تحمله.

ولعل التحويل بحذف أداة الاستفهام، وتعليق التركيب بالتنغيم المصاحب للاستفهام جاء في هذه التراكيب بوجود المعادل (أم)، وبعدم وجوده؛ لغايات التعجب، وإظهار مشاعر الفرح الغامر الذي يزهو به الشاعر، وهو يفضي بهذه التعبيرات على الرغم مما يمكن أن يقال في البيت الثالث حول لوم الحبيبة له بسبب هذا الدمع المسفوح؛ فكثيرا ما تطفح العيون بالدموع بسبب السعادة التي تهبط للقاء حبيب، أو تحقيق هدف نبيل.

ونلحظ أيضا قِلَّة استعمال الاستفهام محذوف الأداة، إذ يبلغ (9) مرات مما استعملت الأداة فيه، وهو (541) مرَّة.بنسبة = 1.65%، أو من مجموع استعمال تركيب الاستفهام بصورة عامة، وهو (569) استعمالاً، أي بنسبة = 1.58%.

الاستفهام غير المباشر

وهو هنا لا يستخدم أداة استفهام بعينها، ولا يقوم بحذفها، ولا يدل على عدم استخدامه إياها قرينة التنغيم، بل نراه يلجأ إلى استخدام لفظ السؤال من الفعل (سأل) فمرة يستخدم الفعل الماضي، ومرة المضارع، أو الأمر مسندا إلى

---

[1] ديوان البارودي، 212.

[2] ديوان البارودي، 531.

[3] ديوان البارودي، 369.

ضمير المتكلم مفردا أو جمعا، أو ضمير المخاطب مفردا أو جمعا، وهكذا، وقد ذكر البارودي هذه الصيغة في (19) موضعا، موزعة كما في الشكل:

فعل الأمر	الفعل المضارع	الفعل المضارع المجزوم	المجموع
9	4	6	19

ومنه قوله مسندا فعل الأمر إلى ضمير المخاطب المفرد:

فسل المدائن فهي مَنْجَمُ عِبْرَةٍ عما رأت من حاضر أو بادي[1]

أما الفعل المضارع فقد جاء مسندا إلى ضمير المتكلم المجموع، مثل:

نُسائِلُهُ عَنْ شَأنِه وهو صامتٌ ونَخْبُرُ ما في نَفْسِه وهو مُطْبَقُ[2]

ومن الفعل المضارع المجزوم ما جاء مسندا إلى ضمير المخاطب، حيث كرر اللفظ مرتين:

فلا تسألْ على ما كان منه ولا تسألْ على ما كان مني[3]

ومنه قوله كذلك:

فلا تَسْأَلَنِّي عَنْ هَوايَ، فإنَّني وَرَبِّكَ أدْري كيف زَلَّتْ بِيَ النَّعْلُ[4]

فالسؤال في هذه التراكيب يبدو ظاهريا أنه لم يقع، فلا حاجة إذن إلى جواب محدد، يطلقه المستمع (المخاطب)، وكبقية طرق الاستفهام التي سبق الحديث عنها، لم يكن الشاعر يقصد بأسئلته التي انسحبت على أغلب أدوات الاستفهام ينتظر تلقي جواب، فالشاعر على غير عادة المتكلمين في حوار واقعي، أو متخيل يقدم أسئلة ويتلقى أجوبة.

نلحظ قلّة استعمال الاستفهام المباشر، وهو ما يتم فيه استعمال لفظ السؤال، أو إحدى صيغه، حيث بلغت نسبة استعماله 569/19= 3.3%، وهي نسبة أكثر بقليل من التركيب محذوف الأداة.

الاستفهام المنفي

ومما اختصت به الهمزة من بين أدوات الاستفهام أيضا هو جواز دخولها على النفي[5]، فالجملة المنفية يمكننا الاستفهام عنها باستخدام أداة الاستفهام (الهمزة) فقط، من دون أدوات الاستفهام الأخرى.

وقد استخدمها البارودي في السؤال عن المنفي، كما يتضح في الجدول الآتي في (34) أربع وثلاثين موضعا، حيث دخلت على أربع من أدوات النفي، هي: لم، وما، وليس، ولا.

---

[1] ديوان البارودي، 159.

[2] ديوان البارودي، 382.

[3] ديوان البارودي، 681.

[4] ديوان البارودي، 420.

[5] ابن هشام، أوضح المسالك، 2/ 24، والمرادي، الجنى الداني، 384، والبغدادي، خزانة الأدب، 4/ 70.

أداة النفي	لم	ما	ليس	لا	مجموع التكرار
التكرار	10	11	9	4	34

وقد ذكر البحث في موضعه استخدام هل مع الجملة المنفية أيضا، وناقشها بما يكفل توضيح المسألة[1].

النتائج:

من نافلة القول أن نزعم أن تراكيب الاستفهام مهمة مثلها مثل الجملة الاسمية والفعلية، ومن الملاحظ في هذه الدراسة أن الشاعر في استعماله أدوات الاستفهام كان ملتزما مع ما قاله النحاة، غير أنه في بعض التراكيب بدا الأمر منحرفا عن القاعدة، مثل:

أولا: دخول (هل) على الاسم مع وجود الفعل في حيزها على رأي النحاة، يقول سيبويه: "لا يليها إلا الفعل، وإن وليها اسم فعلى التوسع"[2]، يقول البارودي:

"قالت: فهل دواءٌ يُستَطَبُّ به؟ قُلْتُ: الوِصالُ، فَراحَتْ، وهي تَبْتَسِمُ"[3]

يصف سيبويه هذا الاستعمال بالقبح، إذ يقول: "فإن قلت: هل زيدا رأيت؟ وهل زيد ذهب؟ قبح، ولم يجز إلا في الشعر"[4]؛ ولعله يقصد الضرورة على رأي السيوطي الذي يقول: "إن هل إذا كان في حيزها فعل، وجب إيلاؤها إياه، فلا يقال: (هل زيد قام؟) إلا في الضرورة"[5]. فهل يعد هذا الاستعمال في الشعر –إذا أضفنا إليه استعمال الناس بصورة عامة– من تجديدات الشاعر أم من المآخذ عليه؟

ثانيا: ورود المعادل (أم) في السؤال بـــ(هل)، إذ منعه النحاة، يقول ابن هشام: "فيمتنع نحو (هل زيدا ضربت؟ ونحو (هل زيد قائم أم عمرو؟)[6]، وجاء في الكافية ما نصه: "ومنها أن الهمزة تستعمل مطردا مع أم، ولا تستعمل معها إلا شاذا"[7]. فهل كان استعماله هذا مجازفة لغوية منه؛ بحيث أقدم على تكرار هذا الاستعمال؛ لإفادة استفهام التصور الذي يمتنع مع الحرف (هل)؟ أكان الشاعر على علم بهذه القاعدة، ولم تثنه معرفته عن تأصيل الشاذ، وجعله قاعدة يسير عليها مَن بعده شأنه في هذا شأن نحاة الكوفة الذين كانوا مغرمين في بناء القاعدة النحوية على القليل والشاذ حتى لو لم يعرف قائله مما استعمله العرب في كلامهم؟ أم أن التفعيلة والوزن الشعري حالا دون تكرارها مرة ثانية بعد (أم) المعادلة؟ أم أن سببا آخر يقف وراء هذا الاستخدام المتفرد علما أنه استعمل (أو) في بعض المواضع المشابهة؟ كما ذكر في موضعه، المهم أن الشاعر (البارودي) المجدد ببعث الشعر العربي رمته من الرقاد، استعمل هذا الأسلوب الاستفهامي من دون تكرار (هل)، وهو أمر استهجنه النحاة العرب قديما. فهل يعد هذا الاستعمال الشعري –إذا

---

[1] هذا البحث، 18.

[2] سيبويه، الكتاب، 1/ 98.

[3] ديوان البارودي، 570.

[4] سيبويه، الكتاب، 1/ 98.

[5] السيوطي، همع الهوامع، 2/ 77.

[6] ابن هشام، مغني اللبيب، 339.

[7] رضي الدين الأستراباذي، شرح الكافية، 2/ 389.

أضفنا إليه استعمال القدماء له في بعض المواضع، وكذلك الاستعمال السائد كما نلاحظ الآن- من المآخذ عليه، أم يعد له من الفتح والتجديد؟

ثالثا: على حين أجاز النحاة -حذف (الهمزة)[1]؛ لأنها تعرف من التنغيم المرافق لسياق الاستفهام بها، فقد منعوا حذف (هل)، والصحيح أنها تحذف إذا كان المقصود من السؤال بها التصديق، حيث تلتقي والهمزة في هذه النقطة، فالجملتان: (أقرأت الدرس؟)، و (هل قرأت الدرس؟) متماثلتان.

أما بقية الأدوات فيستفهم بهن عن معناهن الحقيقي الذي يتلبسهن كالسؤال عن العاقل، والزمان، والمكان، والحال، والسبب؛ فلذلك لا يجوز حذفهن إذ يصبحن جزءا من التركيب تحمل كل أداة قدرة تحويل التركيب إلى الاستفهام، فضلا عن معناها، وكل أدوات الاستفهام كذلك تحمل كل منها معنى جديدا مترافقا مع معناها الأصلي، ويفهم كل ذلك من السياق، يقول السبكي: "إن معنى الاستفهام فيه موجود، وانضم إليه معنى آخر"[2]،وهو ما قاله ابن جني: "فلما كان السائل في جميع هذه الأحوال قد يسأل عما هو عارفه ... جاز أن يجرد في بعض الأحوال ذلك الحرف لصريح ذلك المعنى"[3]. وذهب (جون ليونز) مذهبه، إذ يقول: "أعطني السياق الذي وضعت فيه الكلمة، وسوف أخبرك بمعناها، من المستحيل أن تعطي معنى كلمة بدون وضعها في سياق، وتكون المعاجم مفيدة بقدر ما تذكره من عدد سياقات الكلمات وتنوعها"[4]

رابعا: عدم تصدر أداة الاستفهام إذ تقبع في سياق الإخبار بحيث تأخذ دلالته. وإن يقدر الباحث أن هناك تخريجات كثيرة يمكن اعتمادها في تسويغ مثل هذه التراكيب، يرى أن هذه المواضع لا تناقض تلك القواعد، بل إنها تقدم إضافة لا بأس بها.

خامسا: تصدر (هل) تركيبا منفيا، وهو ما لم يتفق مع قواعد النحاة، فهل يكون هذا جائزا في العربية على الرغم من رفضه قديما؟ على اعتبار أن شريحة اجتماعية كبيرة باتت تستعمله حتى في المستوى الأدبي كما لاحظنا.

وأخيرا: إن طبيعة الموقف الاستفهامي تقتضي وجود طرفين أحدهما يلقي سؤالا يجهل المعرفة المتحتمة عليه، ولولا ذلك لما سأل، وطرف ثان متلق يجيب عن هذا السؤال. ولكن في خصوصية الموقف الشعري، هل يتحتم وجود هذين الطرفين؟ إن المتتبع لأقوال النحاة، وفائدة الصيغة الاستفهامية، وقيمتها البلاغية لا ينتظر أن يكون هناك مجيب، أو حتى جواب مباشر؛ فالمستفهم بصورة عامة، وفي الشعر بصورة خاصة قد يخرج بسؤاله عن المعنى المحدد للسؤال؛ ليضيف إلى تعبيره معاني أخرى، مثل: التقرير، والتوبيخ، والتعجب، والإنكار، والتهكم ...، [5]، والموقف الشعري ذو خصوصية مختلفة، فهو مليء بالأحاسيس والمشاعر، والأفكار الذهنية الجياشة؛ لذلك نجد الشاعر قد اعتمد اعتمادا يكاد يكون شبه كامل على ذكر الأدوات في تراكيب الاستفهام، فإذا أسقطنا (9) تراكيب لم تذكر فيها الأداة، و

---

[1] ابن هشام، مغني اللبيب، 1/ 11-13.

[2] السبكي، عروس الأفراح -شروح التلخيص، 2/ 306.

[3] ابن جني، الخصائص، 2/ 464-465.

[4] Lyons, John: Introduction to Theoretical Linguistics,P.410.

[5] سيبويه، الكتاب، 1/ 343، 2/ 306، 3/ 170، 172، 176، 181، ابن هشام، مغني اللبيب، 26.

(19) تركيبا اعتمد فيها على السؤال غير المباشر، نجد أن (541) تركيبا ذكرت فيها أدوات الاستفهام المختلفة، أي بنسبة (95%)، وهذا يدلل على أن الشاعر استثمر كثيرا الدلالات الأخرى المتضمنة في أدوات الاستفهام.

المصادر والمراجع:

* ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، لا.ت.

* ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي نجدي ناصف، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، لا.ط، القاهرة، 1386هـ- 1969م.

* ابن الحاجب، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق موسى بناي العقيلي، لا.ط، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، 1982م.

* ابن الخشاب، المرتجل، تحقيق علي حيدر، لا.ط، لا.م، دمشق، 1972م.

* ابن السراج، الأصول في النحو، عبد الحسين الفتلي، لا.ط، مطبعة النعمان، النجف، العراق، 1973م.

* ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، تحقيق صاحب أبو جناح، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، د.ت.

* ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، طبع بيروت، لا.ط، 1964م.

* ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، شرح ونشر السيد أحمد صقر، ط2، القاهرة، 1973م.

* ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث ومؤسسة التاريخ الإسلامي، بيروت، ط2، 1418هـ-1997م.

* ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق عبد المتعال الصعيدي، ط5، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح، 1402هـ - 1982م.

* ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، راجعه سعيد الأفغاني، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1419هـ-1998م.

* ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت ومكتبة المتنبي- القاهرة، لا.ط، لا.ت.

* أبو حيان النحوي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق مصطفى النحاس، ط1، مطبعة المدني، 1409هـ 1989.

* أحمد المتوكل، الجملة المركبة في اللغة العربية، ط1، منشورات عكاظ، 1987م.

* الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، مطبعة السعادة، القاهرة، 1961م.

* البارودي، محمود سامي، ديوان البارودي، حققه وضبط شرحه علي الجارم، ومحمد شفيق معروف، دار العودة، بيروت، لبنان، 1998.

* البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لعرب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، لا.ط، مكتبة الخانجي، القاهرة، لا.ت.

* بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح -شروح التلخيص-، لا.ط، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر، لا.ت.

* تمام حسان، الأصول -دراسة أبيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ودار الشؤون الثقافية العامة - العراق، لا.ط، 1988م.

* تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، لا.ط، مطبعة الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1973م.

* تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990.

* ج.ب. براون، وج. يول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي، ومنير التريكي، لا.ط، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، 1418هـ-1997م.

* الجرجاني، عبد القاهر، المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق كاظم بحر المرجان، لا.ط، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1982م.

* الجرجاني، علي، التعريفات، لا.ط، لا.ن، بيروت، 1969م.

* خليل عمايرة، في التحليل اللغوي -منهج وصفي تحليلي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، 1987م.

* خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها –منهج وتطبيق، عالم المعرفة، جدة، السعودية، ط1، 1404هـ–1984م.
* رضي الدين الأستراباذي، شرح الكافية في النحو لابن الحاجب، لا.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، لا.ت.
* الزجاجي، أبو القاسم، الجمل في النحو، تحقيق ابن أبي شنب، ط2، باريس، 1957م.
وطبعة: تحقيق علي توفيق الحمد، لا.ط، دار الأمل، إربد، الأردن، 1984م.
* الزجاجي، حروف المعاني، تحقيق علي توفيق الحمد، لا.ط، دار الأمل، إربد، الأردن، 1986م.
* * الزركشي، بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، ط1، مطبعة الحلبي، مصر، 1957م.
* الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، بيروت، 1997م.
* السعران، محمود، علم اللغة –مقدمة للقارئ العربي، ط2، دار الفكر العربي، 1417هـ–1997م.
* السكاكي، مفتاح العلوم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1937م.
* سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، لا.ط، المطبعة الأميرية، مصر، 1966م، 1977م.
* السيوطي، همع الهوامع شرح جمع الجوامع في العربية، عني بتصحيحه محمد بدر النعساني، لا.ط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، لا.ت.
* السيوطي، الأشباه والنظائر، تحقيق عبد الرؤوف سعد، القاهرة، 1975م.
* الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لا.ط، بيروت، 1984م.
* عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، لا.ط، دار توبقال، المغرب، 1985م.
* عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، لا.ط، لا.ن، بيروت، 1979.
* العلوي، الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، لا.ط، لا.ن، مصر، 1914م.
* عمر بن أبي ربيعة، الديوان، ط1، دار صادر، بيروت، إعادة الطبع 1412هـ–1992م
* الفراء، معاني القرآن، تحقيق أحمد بن يوسف النجاتي، لا.ط، دار الكتب، مصر، 1955م.
* القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق لجنة من الأساتذة، مكتبة المثنى، بغداد.
* قيس بن الملوّح، ديوان الشاعر،
* مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب، ط1، دار طلاس، دمشق، 1987م.
* المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، لا.ط، مؤسسة دار التحرير، مصر، 1386هـ.
* المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، ط1، المكتبة العربية حلب، 1973، وتحقيق طه محسن، لا.ط، دار الكتاب للطباعة، الموصل، العراق، 1976م.
* نايف خورما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، سلسلة شهرية تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978.
* نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، بيروت، 1980.
* نوم جومسكي، البنى النحوية، ترجمة يؤيل يوسف عزيز، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987.
* الهروي، الأزهية في علم الحروف، تحقيق عبد المنعم الملوحي، لا.ط، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1391هـ–1973م.